الحقائق الغائبة

في موجز تاريخ الزمن لستيفن هوكنج

THE ABSENT TRUTH IN STEVEN HAWKING'S A RRIEF HISTORY OF TIME

السفير

محمد أمين جبر

AMBASSADOR
MUHAMMAD AMIN GABR



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : الحقائق الغائبة في موجز تاريخ الزمن لستيفن هوكنج

المؤلف : السفير : محمد أمين جبر

رقم الإيداع : ١٤٧٩٥/ ٢٠١٧

الترقيم الدولي: ٢-١١-٠-٨٣٤-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٧



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

.. مقدمة

أتحدث بإختصار عن خواطري الإيمانية بخصوص كتاب «موجز تاريخ الزمن» (A BRIEF HISTORY OF TIME)[(١)] لعالم الفيزياء والكم والرياضة المعاصر الذائع الصيت ستيفين هوكنج (STEPHEN HAWKING) . درس هوكنج الفيزياء النظرية في جامعة أوكسفورد ثم أكمل دراسته في جامعة كمبردج قبل التخرج . بدأ هوكنج مرحلة الكوانتوم منذ عام ١٩٧٤م وكان له فيها مشاركون ومعاونون كثيرون ذكر أبرزهم في كتابه .

وفي عام ١٩٨٩م حصل على درجة الدكتوراة الفخرية في العلوم من جامعة كمبردج التي جعلته زميل (رفيق) شرف بها (companion of honur) وهو حاليًا أستاذ كرسي لوكاس للرياضيات في جامعة كمبردج البريطانية، ويبلغ من العمر الخمس وسبعون عامًا. وقد وضع كتابه الذي نعلق عليه في عام ١٩٩٨ لغير المتخصصين وفي الكتاب كما يقول كارسل ساجان[(٢)] في مقدمته : « أنواع كثيرة من الفائدة للقارئ غير المتخصص وفي الكتاب إشراقات صافية في مجالات الفيزياء والفلك والكونيات .. والشجاعة وهو كتاب عن الله (god) أو



(١) تم توزيع وبيع أكثر من (٧٥٠٠٠٠) الف نسخة وتم ترجمته إلى ثلاثة وثلاثين لغة.

(٢) وهو من جامعة كورنبل الأمريكية

ربما عن غياب الله (the ɛpsence of god) ومحاولة هوكنج للتعرف على عقل (الإله) (the mind of god)». وأنا أذ أتقدم بالشكر لمؤلف الكتاب – وأن كان شكري قد جاء متأخراً – إن أصدره في محتواه الذي أخرجه به ليفهمه غير المتخصصين – وأنا منهم – فإن تعليقي على الكتاب ينبني على ما أتيح لي من المعارف والمعلومات التي وفرتها لي إطلاعاتي في العلوم ومباحثها المتصلة بموضوع الكتاب وعلي معلوماتي ومفاهيمي التي وفرها لي إيماني القوي بكتاب الله الخاتم (القرآن العظيم) وتدبري وفهمي لآياته البينات فيما جاء بها وحسب فهمي لها من معارف ومعلومات عن الكونيات والإنسانيات والطبيعة وقوانينها التي وضعها وسَّنها خالق الكون ومُنزل الكتاب (القرآن العظيم) ظهرت فيهما وبهما وحدة الحق ووحدة الحقيقة واضحة وجلية لمن يتوفر له علم شامل وصحيح بمضمون الآيات والعلوم التي تشملها أو كان من الراسخين في العلم فيهما وهما كتابان مصدرهما واحد هو الله الأحد الواحد، كتاب (منظور) هو الكون وكتاب (مسطور) هو القرآن.

ورغم أن عملي في السلك الدبلوماسي قد أتاح لي فرصة الأحتكاك بالعديد من الثقافات والأفكار المعاصرة واتجاهاتها وتوجهاتها في مجالات مختلفة سياسية وعلمية وفلسفية وعقائدية .. وغيرها . ورغم أنني أنهيت خدمتي في السلك الدبلوماسي المصري لبلوغي سن المعاش إلا أن وقت فراغي فيه سمح وأتاح لي بالتوسع والزيادة في الأطلاع في مجالات العلوم الحديثة خاصة في الكونيات والطبيعة والإنسانيات وأفكار ونظريات ومكتشفات أصحابها من العلماء القدامى والمحدثين ، ورغم ما قاله كارسل ساجان في مقدمة كتاب « موجز تاريخ الزمن » عن الكتاب وأشرنا إليه فيما سبق ، رغم كل هذه الأمور فإنني أعترف أن مستوايا العلمي ومعلوماتي في العلوم يعتبر مستوى سطحياً لغير المتخصص . ومن هنا فإني في ملاحظاتي وتعليقي في كتابي هذا قد ُعتمدت وأستعنت بأثنين من كبار العلماء المسلمين والعارفين في الموضوعات العلمية المختلفة وما يتصل منها

بموضوعات الكتاب الذي أعلق عليه وذلك من خلال أعمالهم الفكرية العلمية والدينية (الإسلامية القرآنية) ومؤلفاتهم فيها في كتب لهم مختلفة وعديدة. وأني أعترف بأن هناك مسائل علمية تطرق إليها العالم العبقري الكبير ستيفين هوكنج إستعص علي مجاراتها في تفاصيلها ولذلك لم أناقشها في جانبها العلمي في كتابي كما أن هناك في كتابه موضوعات علمية لم أكن بقدراتي وحدها مؤهلاً لمناقشتها أو القول بالرأي فيها فاستعنت فيها بمعلومات رجعت فيها إلى العالمين المسلمين اللذين أشرت إليهما وهما الأستاذ الدكتور زغلول راغب النجار والأستاذ الدكتور عمرو شريف، أذكر فيما يلي نبذة مختصرة عنهما ليتعرف عليهما القارئ.

الأستاذ الدكتور : زغلول راغب النجار– إستاذ علوم الأرض زميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم ومدير معهد مارك فيلد للدراسات العليا بالمملكة المتحدة والحاصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة في الجيولوجيا من جامعة ويلز ببريطانيا وقد منحته الجامعة درجة زمالتها للإبحاث فيما يعد الدكتوراه وعمل أستاذاً زائراً بجامعة كاليفورنيا – لوس أنجلوس سنة ١٩٧٦ – ١٩٧٧ ومستشاراً علمياً لكل من مؤسسة روبرنسون للأبحاث في بريطانيا وعضو اللجنة الأستشارية العليا لهيئة الأعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي وهو أيضا عضو في العديد من الجمعيات العلمية المحلية والعالمية وعضو لجنة التحكيم جائزة اليابان الدولية للعلوم وأختير عضواً في هيئة تحرير مجلة.

(JOURNAL OF FORMANIFERAL RESEARCH) التي تصدر في نيويورك ومجلة (JOURANAL OF AFRICAN EARTH SCIENCES) في باريس . واختير مستشاراً علمياً لمجلات أخرى . وله أكثر من مائة وخمسين بحثاً ومقالا منشوراً وعشرة كتب نشرت في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ولبنان والكويت والسعودية وقطر وأشرف حتى وقت قريب على أكثر من أربعين رسالة ماجستير ودكتوراة في موضوعات جيولوجية في كل من مصر

والجزيرة العربية والخليج العربي . وقد أستعنت بالعديد من كتبه في التفسير العلمي لآيات القرآن العظيم وخاصة كتابيه « مختارات من تفسير الآيات الكونية» و«صور من تسبيح الكائنات» أما الأستاذ الدكتور عمرو شريف فهو رئيس قسم الجراحة بكلية طب جامعة عين شمس والدكتور عمرو شريف كان قد حصل على درجة البكالوريوس في الطب والجراحة بتقدير أمتياز مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٤ ودرجتي الماجستير عام ١٩٧٨ والدكتوراه عام ١٩٨١ في الجراحة العامة من كلية الطب جامعة عين شمس . وهو عضو مؤسس للجمعية الدولية للجراحة والجمعية الدولية لجراحة الكبد والبنكرياس والجهاز المراري بسويسرا . كما أختير الدكتور شريف المدرس المثالي على مستوى جامعة عين شمس عام ١٩٨٤ والطبيب المثالي على مستوى الجمهورية (مصر) عام ١٩٨٨ . وهو مفكر ومحاضر في موضوعات التفكير العلمي ونشأة الحضارات والعلاقة بين العلم والفلسفة والعقل وبين الأديان خاصة الدين الإسلامي وله مؤلفات عديدة منها ترجمته لكتاب « الطب المصري القديم» وكتاب « خرافة الإلحاد » و « ثم صار المخ عقلاً » و « الوجود رسالة توحيد». ومن أهم مؤلفاته - وإن كانت كلها مهمة - « أبي آدم » «المخ ذكر أم أنثى » و« رحلة عقل » و « أنا تتحدث عن نفسها » و«كيف بدء الخلق». وقد أعتمدت في كتابي بشكل خاص على كتاب الدكتور/ شريف «خرافة الإلحاد» واستعرت منه معلومات جديدة أفادتني كثيرًا في بعض الموضوعات التي تناولتها في كتابي. كما اعتمدت على إطلاعاتي ومعلوماتي وإلهاماتي في الرؤية الدينية الإسلامية القرآنية وعلى مفاهيمي فيها التي قد أصفها - أن جاز لي ذلك - بالعقيدية القرآنية الإيمانية وما يتصل بها أحيانا من أقوال فلسفية أو أقوال علمية تستمد من البصر العقلي ومن البصيرة المؤمنة دون أن يكون قصدي منها المساس بأي أحد أو الإساءة إلى أي أحد أو إلى أي معتقد أخر غير قرآني.

ولعلي في ذلك أكون قد وفيت كتابي حقه في بيان الحقائق الغائبة عن الدكتور ستيفين هوكنج في كتابه (مؤجز تاريخ الزمن) أو في غيره من كتبه وبياني وأن كان

متواضعا أو ربما غير كافي أو شافي إذا قيس ببيان الدكتور/ هوكنج في كتبه إلا أنني أرجو أن يكون نافعاً لكل إنسان يتطلع إلى معرفة الحق وإلى معرفة الحقيقة في الوحي الرباني القرآني وما يضيفه من معلومات جديدة له دون أن يكون متحيزا لرأي مُسبق أو فكرة معينة مسيطرة عليه وموجهة له.. أو كان رافضاً لإعطاء القرآن العظيم صفة الكتاب المنزل نتيجة كثير من المؤثرات أهمها المعلومات المنقوصة أو المغلوطة أو المعدومة، إذ أنه من المجهول وغير المعلوم للكثرة من الناس ما يقوله القرآن ذاته ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يونس:٣٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾[يونس:١٥]

وفي الختام أرجو أن يتقبل عالمنا الكبير الدكتور ستيفين هوكنج ما أوردته من حقائق قرآنية غابت عنه في كتابه وأن يجاري ويتفهم وهو من هو في عظمته وتميزه العلمي الذي لا قبل لي به تلك الحقائق التي أظنها جديدة على فكره وتفكيره ومعلوماته وغير معروفة له.

محمد أمين جبر

سفير مصر

▪▪ المدخل للكتاب

القرآن والعلم

للعلم والعلماء تقدير ومكانة كبيرة في القرآن العظيم، ومن آياته أسوق الأمثلة التالية كنماذج ليست على سبيل الحصر:-

(١) ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦-١٠٩]

(٢) ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

(٣) ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

(٤) ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ:٦].



وعن تميز العلماء يقول القرآن العظيم:-

(٥) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

(٦) ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

(٧) ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

(٨) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم:٥٦].

(٩) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء:١١٣].

(١٠) ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة:١٥١].

(١١) ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:١٦٤].

(١٢) ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه:١١٤].

أن المدخل إلى فهم آيات القرآن العظيم والأمثال فيه هو العلم وهم العلماء فيقول ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧].

ويقول ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣].

وكذلك فإن القرآن العظيم يدعوا كل الناس إلى استعمال العقل والتعقل والتفكير والتدبر والفهم والتفكر والنظر والبحث والدرس والتعلم اعتصامًا بالوحي الذي يعتبر مصدرًا صحيحًا مأمونًا ويقينيًا من مصادر المعرفة بالحقائق التي تتوافق وتتفق معها دائمًا حقائق العلم وليست تفسيرات الغيبية للموضوعات العلمية . ومن هنا فإن آيات القرآن العظيم ليست ولا يصح اعتبارها معوقًا للعلم أو التفكير العلمي أو الاجتهاد العلمي أو الإنجاز في العلوم كما يعتقد البروفيسور

ستيفين هوكنج في ما يتعلق بالدين وتصوراته .

ويقول القرآن العظيم بالنسبة لاستعمال العقل والتعقل والفهم وعلى سبيل المثال :

١- ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٢].

٢- ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢].

٣- ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم:].

هذا ويجعل القرآن العظيم النظر في خلق الله في السموات والأرض قائم على الدراسة والتدبر والاتعاظ والاستكشاف لزيادة العلم والمعرفة والمعلومات فيقول مثلاً :

١- ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ .... ﴾ [الأعراف:١٨٥]

٢- ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق:٦].

٣- ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:١٠١].

القرآن العظيم :

القرآن العظيم كلام الله كاملاً شاملاً في وعيه الذاتي وعلمه وإدراكه الذاتي لأن كلام الله صفته، وهي قديمة من صفاته التي ليست من جنس الأصوات والحروف متعلقة باسمه واسمه متعلق بذاته، فيكون كلام الله في إصداره العربي اللغة معبرًا عن علمه الذاتي المطلق والشامل في هذا المستوى المعلوماتي لقرآن الذات، وقد أنزله الله من هذا المقام والمستوى في ليلة القدر إلى أهل الأرض والسماوات بواسطة الروح القدس جبريل على قلب النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين ميسراً للذكر بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته وأحكمت آياته وفصلت كلماته وجامعا للكلمات التامات ورموزها أصبح محفوظاً

في القلب والعقل والذاكرة للنبي صلوات الله وسلامه عليه وهو اللوح المحفوظ فيه القرآن. إن قرآن الذات أو القرآن الذاتي إنبنت على أساسه مفردات الوجود الكلي بتفصيلاته المختلفة لأن علم الله الأزلي والأبدي سابق على ما يكون ويتحقق في الكون وقرآن الذات (وكلامه في التنزيل اللغوي العربي) يعكس علم الله الأزلي والأبدي الشامل والكلي والمحيط بما كان وما يكون وما سيكون، فالكون كان (معلومات) في علم الله أي في تقديره وهو كتاب القدر الذي يشير إليه القرآن العظيم في قوله: ﴿فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢]. أي تخلقها وتوجدها.

وبحيث يكون الكون المعلوماتي في علم الله والمعروف والمعلوم لله قد سبق الكون الطبيعي المدي والفعلي الموجود والذي يتعامل معه العلماء لأن (التقدير) سبق (التنفيذ) أي (الإيجاد) من اللاشيء حيث لم يكن زمان ولا مكان ولا مادة ولا قوى، كما لم توجد طاقة إلا الطاقة أي القدرة التي يتصف بها الإله سبحانه وتعالى بكل أسمائه الحسنى وصفاته العُلى والتي منهما انبثقت كل المادة وكل القوى وكل الطاقات في الكون الذي خلقه الله رب العالمين واحتوتها المفردة (Singularity) كما يقول العلم الآن وذلك في مقام «كان الله ولم يكن شيئاً غيره» كما حدث النبي محمد ، وكما قال أيضاً في التوحيد «كان الله ولم يكن شيئاً قبله».

أن القرآن العظيم كما يقول الدكتور المهندس/ محمد الحسيني إسماعيل[1]:-

«القرآن العظيم».. المعجزة الخالدة ... الباقية على مر الدهور والعصور والحضارات ... إلى أن تقوم الساعة .. هو دستور الوجود الكلي، الذي بنيت على أساسه مفردات وكليات هذا الوجود على نحو مطلق. بصياغة «رياضية/ فيزيائية» بالمعنى المطلق تمثل نهاية الإحكام والدقة. يتضمن – القرآن المجيد – البرهان

(١) الحاصل على دكتوراه في هندسة القوى والمحركات من جامعة القاهرة – ودكتوراه في الهندسة الكهربائية من جامعة أيوا (IOWA) الامريكية والعضو المتميز بجمعية المهندسين الأمريكية الدولية والعضو الناشطة باكاديمية العلوم الأمريكية بنيويورك وعضو عالمي بجمعية تقدم العلوم الأمريكية والحاصل على وسام الجمهورية (من الطبقة الثانية في مصر). والنقل من كتابه «الحقيقة المطلقة»، الناشر مكتبة وهبه.

الذاتي والبرهان العام على صدقة وتفرده في الدقة والكمالات. يحدد بدقة متناهية ماهية الله (عزوجل) وكمالاته وفعله الكلي. كما يحدد بدقة علاقة «الله» (سبحانه الله) بالبشرية والخلائق جميعا. كما يحدد الهدف من خلق الإنسان (أي لماذا خلق الإنسان؟)، والغايات من وجوده.. كما يعرف المصير والتناه. كما يحدد الوجود وغاياته فيتحدث «الله» –الخالق المتعال– بكلماته المطلقة .. إلى البشرية جمعاء.. من خلال كلمته القرآنية الخالدة.. وعلى البشر والخلائق جميعا أن تسمع في خشوع..!! يحدث الإنسان بوجود العوالم الأخرى.. وهي عوالم مكلفة شأنها في هذا شأن الإنسان..!!! يحدد صلات هذه العوالم بالإنسان .. وصلات الإنسان بهذا العوالم ..!! وهي عوالم تحكمها قوانين مغايرة لما نألفه في عالمنا المادي هذا ..!! كما يشرح النظريات الكبرى .. فهو دستور الوجود، لهذا كان قوله تعالى عن كلمته الخالدة للرسول (صلى الله عليه وسلم):

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩]

(ونزلنا عليك : يا محمد / الكتاب : القرآن المجيد / تبيانا لكل شيء: لبيان كل شيء في هذا الوجود)

تمثل نصوص «القرآن الكريم» – المعجزة الخالدة والمتحركة مع الحضارات والزمن – تناهي الصياغة البشرية الغير متطاولة .. لأنه نزل بلغتهم .. صياغة ذات تناهي الإحكام الرياضي والفيزيائي معا.. في التشريع .. المعاملات .. في الأخلاق. في العبادات .. في الحكمة .. في العلم .. في الوجود كله .. أكوانه .. وسماواته .. وما فيها.. ومن فيها ..!!

يفتح الآفاق أمام الإنسان لتخطى حدود المحدود .. ليتحقق التناغم بينه وبين اللامحدود تحت إيقاع قيثارة لحن الوجود ..!!».

فالقرآن كلام الله والفرقان أحكام الشريعة والنور تزكية النفوس والتنزيل

الأخلاق والكتاب جامع التاريخ والذكر والعبر والتذكرة ، ولكل حرف من القرآن أربعة معاني هي : الظاهر والباطن والحد والمطلع... إلخ.

أما مستويات القرآن فهو (قرآن مجيد) في (لوح محفوظ) في (كتاب مكنون) لا يمسه أي لا يقترب من معناه في هذه المستويات إلا المطهرون وهو (أم الكتاب) وأصل كل شيء في الوجود الكوني المركب على الصياغة القرآنية التي تعكس علم الله السابق في (التقدير) أو (كتاب القدر) قبل التنفيذ في الكون والوجود المخلوق.

وهذا وإن القدر الذي أوردته في كتابي هذا من آيات القرآن العظيم ليس إلا فهما للمعنى المستخلص من الآيات مضافاً ومنسوباً إلى المستوى العلمي والمعرفي عندي وكذلك عند الشارح لها أو الفاهم لها وقت الشرح والفهم، وكما أن المعارف والعلوم والمعلومات تتطور وتزداد وتتسع وقد تتغير فكذلك المفاهيم التي تستخلص من دلالات الآيات القرآنية ومعانيها تتطور هي أيضاً وتزداد وتتسع وقد تتغير من جيل إلى جيل نتيجة ما يكتسبه أو يكتشفه العلماء من العلوم والمستجدات فيها، وبذلك يظل التجديد بالجديد احتمالاً وارداً دائماً مادام لا يخالف أصول الدين الاعتقادية وثوابته وأحكامه ومقاصدها وروحه العامة.

وأنه مع التسليم بأن الآيات الكونية في القرآن العظيم قد وردت في معرض التذكير بقدرة الله وبديع صنعه فإنها تبقى بياناً من الله تعالى خالق الكون ومبدع الوجود وهي لذلك كلها (حق مطلق) يؤمن به الراسخون في العلم، كما هو يقول، ولذلك فإن قوانين الطبيعة وسننها في الكون تنسجم معها، وكذلك تنسجم معها معطيات العلوم الحديثة فيما تفيد الآيات من (اليقين) عن حقائق الكون وفيما تتميز به بالدقة المتناهية في التعبير والثبات في الدلالة والشمول في المعنى بحيث يدرك كل جيل ما يتناسب مع مستوياته الفكرية والعلمية وبحيث تتميز الدلالات القرآنية بالسبق إلى الحقيقة الكونية قبل أن تدرك الكشوف العلمية شيئاً منها قروناً طويلة، مع العلم أن العلماء يتحدثون عن نظريات (THEORIES) يصوغونها

بينما القرآن يتحدث عن حقائق (FACTS) تصوغها آياته. فإذا تحدثنا – مثلاً – عن النظريات الفيزيائية فإنها يجب أن تكون دائماً متسقة مع نفسها – SELF) (CONSISTENT لأنها ان لم تكن كذلك أي كانت غير متسقة مع نفسها SELF) (INCONSISTENT أو بها مضامين متناقضة فوفقاً للفيزياء العامة والرياضة فإن هذه الأمور هي العامل الذي يقضي على النظرية الفيزيائية مهما كانت صحة النتائج الجزئية الناتجة عنها.

هذا وأنه ليست هناك حقيقة علمية مطلقة تثبت باليقين الحق إلا وهي متفقة ومتوافقة مع نظيرها الذي تشير إليه آيات القرآن العظيم بل إننا نقول باليقين أن آيات القرآن العظيم تضفي الثبات والشمول والحق في المحتوى والحقيقة في المعنى المعلوماتي على المعلومة العلمية المكتشفة في الطبيعيات والكونيات والإنسانيات في معناها العام ودلالاتها وذلك لسبب بديهي وطبيعي بسيط قلناه من قبل وهو أن مفردات الكون والطبيعة ركبهما الله تعالى الخالق على أساس علمه الذاتي في قرآنه الذاتي (قرآن الذات الإلهي) الشامل والمحيط بكل ما هو مخلوق وكائن وموجود في هذا الكون بسماواته وأراضيه ما تدركه منه وما لا ندركه، فيما ترصده فيه وما لا نرصده، ويمكننا أن نقول مع ذلك أن الاعجاز العلمي هو أحد أوجه الأعجاز العديدة في كتاب الله الخاتم، القرآن العظيم.

ومع ذلك أحب أن أقول أن القرآن العظيم لا يتناول تفصيلات كل علم بما يتناوله من حقائق وتفاصيل ونظريات ومسائل وفروض ودقائق، إذ ليس من طبيعته ذلك باعتباره دعوة وحجة، فهو يهيئنا نحو الحق ويدعونا في ذلك إلى الأخذ بالعلم واحترام العلم والعلماء والاستزادة من العلم، كل أنواع ومجالات العلم، والمستخدمة في إطار عقائد وأخلاقيات الدين وقيمه الروحية وفيما ينفع ويفيد ولا يضر أو يفسد.

وأود أن أذكر القراء لكتابي ولهذا المدخل فيه بأهمية رجوعهم إلى الدراسة

المتعمقــة والموضــوعية التــي أجراهــا الطبيــب الفرنســي مــوريس بوكــاي (MAURIECE BUCAILLE) وأخرج بها كتابه الشهير «التوراة والانجيل والقرآن والعلـم».(LE BIBLE. LE CCRAN ET LA SCIENCE)[1] متضـمناً دراسـة موضوعية للقرآن العظيم في ضوء المعارف العلمية الحديثة، وباللغة العربية التـي درسها وأجادها الدكتور/ بوكاي وخرج من دراسته بنتيجة أساسية وهي أن القرآن يثير وقائع كثيرة ذات صفة علمية وأنه 'لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القـرآن، العلمية مع وجهة النظر العلمية ويقول في كتابه : «ويفضل الدراسة الواعية للـنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الإنتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العهد الحديث». أنتهى..

لقد خاطب القـرآن عقـل الإنسـان موجهـاً إيـاه للنظـر والبحـث في حقيقتـين قائمتين، التركيب الإنسـاني ذاتـه بوحدتـه العضـوية العقليـة والنفسـية والروحيـة والتركيب الكوني بوحدته المادية الطاقية:

- يبحث في الخلق وأسلوبه وأشكاله والقوانين أو السنن التـي تحكـم حركـة المخلوقات في الأرض.

- يبحــث في النجــوم وطاقاتهــا وأنوارهــا الســارية وخــواص هــذه الأنــوار والأضواء.

- يبحث في المـادة وتكوينها الذري، وحقائق التركيب الذري وما يتصل بها من تفتيت والتحام وحركة ونظام وخواص وطاقات.

- يبحث في الحركـة الفلكيـة يسـتنتج منهـا أفكـار الزمـان والتقـويم الزمنـي والحساب الزمني.

- يبحث في الطـاقات المسخرة له في إطار كوكبه الممهـد لحياتـه وتطورهـا في

(١) الــذي تــرجم مــن الأصــل باللغــة الفرنســية إلى اللغــات العربيــة والانجليزيــة الصــربكروانية والاندونيسية.

ترقي وتكمل.

- يبحث في عجائب المخلوقات على الأرض، فوق سطحها، وفي باطنها، وفوق مياهها، وفي أعماقها، وفي أجوائها.

- يبحث في عوالم الجماد، وعوالم النبات، وعوالم الحشرات والحيوان والطير..إلخ.

- يبحث في عالم نفسه، وحقائق تركيبه العضوي ونشاطه العقلي والروحي.

- يبحث في طبقات السماء الدنيا والأجواء ليخترقها بما أوتى من سلطان قادر على النفاذ من أقطارها بالعلم.

في ذلك كله، وفي غيره نزلت نصوص الكتاب العربي ليقرأه محمد (صلى الله عليه وسلم) قرآناً على الناس على مكث ليتدبروه، ميسراً للذكر ليعلموه، متدرجاً في البناء ليقيموه، ينطلق به ومعه الإنسان في وجود نفسه ووجود الكون الخارجي، يشهد الحقائق الطبيعية ، مدركاً على قدره مقادير إتقان صنعها ودرجات سعتها وكثرة صورها، واختلاف أشكالها، واستمرار حركتها، ودوام امتدادها وحقيقة إطلاقها، وطبيعة قوانينها أو سننها، وسر وحدتها وقدر مجهولها، ليبني من خلال هذه المعارف عقيدته في «الإله» ويسلك عن طريق الكون المادي وقواه وطاقاته مسالك المعرفة المرتبطة بالحواس وبإدراكه الزائد عن الحواس (E.S.P) في الطريق المكتشف لعظمة وقدرة الله سبحانه، الاسم الجامع الدال على «الذات المعبود» الذي ليس «كمثله» شيء في كل شيء سبحانه وتعالى عما يصفه الواصفون، أو يتخيله المتخيلون، أو يتصوره المتصورون أو به يشركون.

ولذلك فإن كتابي هذا موجه لقراءة وتفهم كل إنسان اطلع على كتاب «موجز تاريخ الزمن» للعلامة ستيفن هوكنج أو غيره من كتبه، من كل معتقد وملة ودين في كل مجتمعات الأرض في الغرب والشرق وفي الشمال والجنوب وبصفة خاصة

أتباع الديانات السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام. رغم ما بين دولهم التي ينتمون إليها من فوارق حضارية كبيرة وكثيرة ورغم وجود خلافات واختلافات بين الأتباع تتسم في أحيان كثيرة بالتعصب والدوجماتية والخصومة والرفض للأخر وتبتعد بهم عن صحيح أصول كتب الأديان الثلاثة ومفاهيمها إلا أنهم في حقيقة وواقع الأمر يمثلون كلهم جبهة (المؤمنين) الواحدة في هذا العالم في مواجهة الملحدين وغير المؤمنين وفي مواجهة الساعين والعاملين لهدم (الأديان) خاصة في معتقداتها الإيمانية وأخلاقياتها المتماثلة في جوهرها في الأديان السماوية الثلاثة. هذا وأن المقارنة بين حقائق العلم اليقينية وبين بعض الموضوعات التي تعالجها التوراة ويعالجها الانجيل والكثير من الموضوعات التي يعالجها القرآن العظيم، أصبحت موضوعاً يهم الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) وليس ديناً واحداً على حدة نظراً لما يتهدد الأديان الثلاثة من خطر المادية العوراء وتأثيرات معاول الهدم الإلحادية الكثيرة للأديان السماوية كلها[١].

كونيات وإنسانيات في القرآن

لقد تناول القرآن العظيم الكثير جداً من المسائل والموضوعات التي لازالت تحتاج إلى تفسير وتوضيح وتأويل بالتعمق في أسرارها ومعانيها وحقائقها الظاهرة والباطنة لإلقاء المزيد من ضوء من المعلومات عليها وربما يعاون في تبينها ما يتوفر حالياً من معلومات في علوم عند العلماء المؤمنين أو ما قد يتوفر لديهم من معلومات وعلوم في المستقبل، وأذكر من هذه المسائل والموضوعات التي تناولتها آيات القرآن العظيم وعلى سبيل المثال فقط وليس الحصر، الذي يصعب

(١) توجهات ودوافع (CERN) (BLUE FBEAM) - (HARP). وكما على سبيل المثال فقط كتاب «لماذا لا نستطيع أن نكون مسيحيين (WHY WE CANT BE CHRIS TIANS) لمؤلفه الملحد الإيطالي الرياضي «بيير جيورجيو أودى فيردي» (PIERGIORGIO ODIFREDDI). وكتاب (The End of Faith) لسام هاريس الطبيب الأمريكي الملحد.

جداً مايلي:

(١) حالة وواقع عدم الموت وعدم الحياة .. كما في جهنم التي (لا يموت فيها الإنسان ولا يحى).

(٢) بيان التفاوت في السرعات والمقدرة على الانتقال والحركة .. والزمان في مجئ يوم القيامة وأمر الساعة، لمح البصر أو أقرب.

(٣) ما يقرره القرآن من اختلاف الزمان والتوقيت والواقع في سورة أهل الكهف.. وقد خصصنا لها كتاباً مستقلاً ينشر قريباً إن شاء الله. يوضح توافق النتائج في مفارقة التوأم لأينشتاين (TWIN PARADOX) مع دلالات آيات أهل الكهف في أحد مفاهيمها العديدة. ثم مفهوم ومعنى﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾أي أهل الكهف النيام.

(٤) الذاكرة وكيف ولما يتذكر الإنسان شريط حياته عندما يأتي الله بجهنم.. أسرار العقل المصاحب للمخ ومصدره الروحي (النفخة).

(٥) الكتاب الذي يلقاه الإنسان منشوراً عند الحساب يوم القيامة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.. إلخ... ما هو وكيف يكون .. وصلته بالمخ. والذاكرة..إلخ.

(٦) سر ظهور الإلوهية والربوبية عند (الطاقة) كا مع موسى الذي رأى ناراً في سيناء وعند الشجرة..وأسرار النور من النار والنور من النار ومن غير النار..

(٧) معاني الآية ٣٥ من سورة النور..﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ ؟ والذي يشير إلى المخ والعقل أو القلب (CORE) والوعي والإدراك (وسنتحدث عنها لاحقاً).

(٨) الوفاة حين الموت وحين النوم .. وصلتها بالوعي الإنساني.. وما هي أسرار النوم وكيف يقترب من الموت .. وكيف يقترب الاستيقاذ من البعث؟ كما

يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث له.

(٩) ماهو الإعصار .. وما هو الإعصار الذي فيه نار ؟

(١٠) ما هي النفس الواحدة وهل هي النطفة من المني .. وهي الخلية الحية الواحدة وهي النطفة من الذكر؟.. والتناسل الإنساني والإخصاب وطبيعة السائل المخصب والبويضة التي تعشش في جهاز الأنثى التناسلي وظهور الجنين في الرحم..إلخ.

(١١) منطق الطير.. ما هو .. كيف يكون .. وما أصله أو مصدره ؟ ومنطق الحشرات من مثل النمل، ونحن نعلم الآن أن عمل الحشرات حافل بدراسات مستفيضة عن لغة النمل ولغة النحل...

(١٢) تصريف الرياح .. كيف ثقل السحاب الثقال ثم كيف ينزل الماء الذي يُخرج من كل الثمرات وكيف يكون ذلك دليلاً عملياً على قدرة الله في البعث وإخراج الموتى من القبور؟

(١٣) فلق الحب والنوى ... كيف يكون ؟ وفلق الإصباح.. وإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي.. ما هو وكيف يكون ؟.

(١٤) مجموعتنا الشمسية وبنيتها والظواهر الطبيعية في كوكب الأرض وما هي بنيته؟ وكيف وضعه الله للأنام؟

(١٥) زيادة البسطة في الخلق للإنسان .. كيف يكون وما هي العوامل الوراثية التي تؤدي إليه.؟ وكبر العمر وأرذله وتأثيراته على المخ والعقل. وعلى نشاط الإنسان.

(١٦) مواقع النجوم وأنواعها وطاقاتها ومجموعات نظمها في كوننا وأبعادها وخواصها وخصائصها.. وكل شئ عنها.. في حياتها وموتها.. والثقوب السوداء التي يشير إليها القرآن في (النجم الثاقب) أي الذي يحدث ثقباً.

(١٧) الذرة.. والجزئيات الأصغر منها التي تـدخل في تكوينهـا.. خصائصـها وخواصها وطاقتها عند الالتحام أو الانشطار.. إلى غير ذلك..

(١٨) ما هو موضوع.. «لو يعمر الإنسان ألف سنة» .. الذي جاء في الآيـة ٩٦ من سورة البقرة.. وما هو علم الهندسة الوراثية.. الذي ربما قد يمكنه إطالة عمـر الإنسان.. وهل يقضي على الموت..

(١٩) ما معنى «الخلق» .. وهل يمكن خلق شئ من العدم ؟ كما يخلق الله من العدم؟ وهل من يخلق كمن لا يخلق ؟

(٢٠) إمساك الله للسماوات والأرض أي الكون من أن يزولا أو يـزول.. ومـا هو سر الإمساك ، ومعناه وأسبابه..؟ وقوة أو طاقة الربط في الذرة؟ .

(٢١) جهنم لا تبقى ولا تذر .. ما هو معنى ذلك؟ وكيف يكون.. وهل لـذلك مظاهر في حياتنـا الـدنيا والكائنـات فيهـا ذات الطاقـة عـلى الإحـراق والانصـهار والذوبان للأشياء.. بما فيها الإنسان ؟

(٢٢) الخلود.. والزمان معه.. كيف يكون.. وحقيقة الموت والحياة في الـدنيا وسماته في البرزخ وفي الآخـرة.. والتنكـيس في الخلـق عنـد بلـوغ أرذل العمـر.. وتناقص القدرات العقلية والعلمية والجسدية..

(٢٣) الآيات في المجموعـة الشمسـية.. السـماوات والأرض.. والسـماوات العلى.. واختلاف الليل والنهار.. والظل والحـرور.. ومـا هـي إمكانيـات الأرض فيمـا وصـفها الله للأنـام.. وحيـاة البشـر وسـائر المخلوقـات فيهـا.. وتشـهدها للإنسان...

(٢٤) الإنفعالات والمشاعر والأحاسيس مثل الضحك والبكاء (وأنه أضحك وأبكى) كيف ولماذا تكون؟ وكيف ترجع إلى الله كمـا يقـول القـرآن العظـيم مـن خلال (مثل نوره) الذي ورد في سورة النور عن الإنسان.. وإلـخ. ومـا يتصـل فيـه

بالكهرباء والمغناطيسية بقضبيها الشمالي والجنوبي وهي (الشجرة) وقود المخ من نور لم تمسسه نار يضيء الزجاجة (وهي المخ) بمصباح هو (العقل) والمذكورة في السورة بأنها لا شرقية ولا غربية.. إلخ. (جيمزماكسويل والكهرومغناطيسية).

(٢٥) الخلية الحية.. والخلايا العصبية.. تكوينها ومنشأها وخواصها ونموها وتكاثرها وتخصصها ودورها في إكمال البنية الإنسانية.. وهي النفس الواحدة في القرآن.

(٢٦) خواص وخصائص وفوارق القلب (CORE) والفؤاد واللب والنهي بالنسبة للعقل والوعي والإدراك..

(٢٧) مساكن وبيوت النمل والنحل.. نظامها وما توفده من حماية وعمل مشترك جماعي وغذاء نافع ومفيد (النحل/ العسل) حسب الأماكن والظروف المناخية المختلفة في المواسم.

(٢٨) أضرار البرودة التي يقول عنها القرآن بالنسبة لإبراهيم عندما ألقى في الخندق ليحرق.. (برداً وسلاماً على إبراهيم).. وكيف يكون (السلام) ضروري مع (البرودة) الشديدة.

(٢٩) البعد الكامل لحقيقة كون الله نور السماوات والأرض (الآية ٣٥ من سورة النور) ومثل نور الله.. ويشمل هذا البعد كيف يوقد أو يضيء (المصباح) وهو (العقل) في الزجاجة الهشة وهي (المخ) ثم (الشجرة) التي يوقد منها المصباح أي العقل وكلها في (المشكاة) وهي الدماغ.. إلخ.. وكيف يتولد الوعي والعقل من خواص طاقة النفخة الروحية من مصدرها الرباني (ونفخت فيه من روحي) بعد التسوية الهيكلية للإنسان في كل مكوناته الخارجية والداخلية والظاهرة والباطنة وأهمها (المخ والقلب والجهاز العصبي المركزي..إلخ) ولأساس (الخلوى) لذلك وصلة الخالات النفسية والعقلية للإنسان بالمخ وسلامته وصحبته وما يترتب على اعتلال المخ من أضرار مرضية تؤثر على

الإنسان في التكيف مع البيئة الإجتماعية وعلى أنماط التفكير والسلوك والتصرفات في الواقع والعلاقات بالأخر (الهلوسة والجنون والسفه والعته... إلخ).

(٣٠) كيف يتكيف الإنسان مع الليل والنهار (الليل لباسا) (ونومكم سباتا) (الليل لتسكنوا فيه) و (النهار مبصرا) و (النهار معاشا)..إلخ.

(٣١) تأملات القرآن في السماوات (علم الفلك) وتعددها والسماوات العُلى والخلق الوسط بين السماوات والأرض.. وهو ما دلَّ العلم الحديث على وجوده.. وكيف تم ترتيب نظم النجوم والكواكب والموضوعة في مراكز توازن.. وشرح إسحق نيوتن الثبوت الدائم لهذا التوازن في قانونه عن جاذبية الأجرام (سور «ق» ولقمان والرعد والحج ويونس.. وغيرها في القرآن العظيم).

(٣٢) الفرق بين ضوء الشمس ونور القمر والكواكب.. ومدارات النجوم والقمر والكواكب.. واكتشافات كوبرنيكوس في القرن السادس عشر عن خطأ (مركزية الأرض) وهو المفهوم الذي كان سائداً بالخطأ منذ بطليموس.

(٣٣) توسع الكون وامتداده وابتعاد المجرات عنا لسرعات هائلة.. (الآية ٤٧ من سورة الذاريات) في القرآن العظيم.

(٣٤) الآيات التي تتحدث مثلاً عن :-

١- **دورة الماء والبحر** (ومختلف النظريات العلمية ومنذ القرن السابع قبل الميلاد) والتوافق بين معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث وبين كثير من الآيات القرآنية، كما مثلاً في الآية ٢١ من سورة الزمر والآية ٤٣ من سورة النور والآيات من ٦٨-حتى ٧٠ من سورة الواقعة)، هذا وليس في القرآن أي آية عن البحار ترجع إلى معتقدات أو أساطير أو خرافات كانت سائدة في عصر تنزيل القرآن العظيم.

٢- **تضاريس الأرض:**

وتقول آيات القرآن العظيم أن الطريقة التي خلقت بها الجبال موائمة للثبات

وذلك يتفق تماماً مع معطيات علم الجيولوجيا (سور نوح والذاريات والغاشية والنبأ والنازعات... وغيرها).

٣- الطبقة الجوية المحيطة بالأرض – الظاهرات التي تحدث في الجو ويتفق معها العلم الحديث (سور الأنعام والرعد والنور وغيرها).

(٣٥) ظاهرة ضيق الصدر للإنسان الذي يصعد ويرتقي في السماء .. لماذا تكون؟ كما في «**سورة المائدة الآية ١٢٥**».

(٣٦) تفسير الرؤى والمنامات .. والرؤى الصادقة .. والرؤى التي تنبئ بمستقبل الأحداث.. كما في «**سورة يوسف / ٤٧**».

(٣٧) المساحات الشاسعة الهائلة في الكون .. تقديرها وحسابها.. كما في «**سورة الحجر/ ٥**».

(٣٨) انتقاص كوكب الأرض من الأطراف .. معناه .. كما في «**سورة الرعد/ ٤٩**».

(٣٩) الجبال الراسيات التي تحفظ توازن الأرض .. كيف تكون.. كما في «**سورة النحل/ ٢٥**».

(٤٠) خلق البشر .. التراب ثم النطفة ثم العلقة ثم المضغة المخلقة وغير المخلقة.. كما في «**سورة الحج/ ٥**». ثم العظام ثم اللحم الذي يكسو العظام.. كما في «سورة الحج/ ٥ والمؤمنون / ٣٤» ثم طور الخلق الأخر، وكيف يتحدد عامل الجنس (DETERMINATION FACTOR)

(٤١) بيوت الحشرات وبنياتها وأوهنها بيت العنكبوت.. كما في «**سورة العنكبوت/ ٤١**».

(٤٢) كيف يجعل الله من الشجر الأخضر نارا.. وعملية البناء الحيوي التي يقوم بها النبات الأخضر .. وماهية عملية التمثيل الضوئي أو عملية البناء الضوئي.

(٤٣) كيف هي بنية السماء بأيد أي بقوة واتساعها وامتدادها المستمر.. كما في «**سورة الذاريات / ٤٧**».

(٤٤) الحديد من أين جاء أو أنزل .. وما يحويه من بأس شديد ومنافع للناس، كما في «**سورة الحديد/ ٢٥**».

(٤٥) اختلاف بنان أصابع يد الإنسان .. البصمة .. سر عدم تسوية الناس بها.. وأثار ذلك في حياة الإنسان وسلوكياته، كما في «**سورة النبأ/ ٤**».

(٤٦) النجم الثاقب .. أي الذي يحدث ثقباً في السماء.. وما هي أنواع الثقوب.. السوداء والدودية وغيرها .. خواصها وخصائصها...

(٤٧) العناصر المشتركة المقترنة بالوعي والعقل والإدراك من سر خواص وطاقات العطاء الرباني من (روحه) وهو سر من أسرار النفخة ﴿سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩].. ومستويات العقل والفقه.. المخ والقلب والفؤاد واللب والنهى..

(٤٨) علوم ومعارف النفس.. في الصحة والاعتلال والمرض والتوازن والتوافق والسلوك (السوي والمنحرف) والاستقامة والانحراف أو الضلال.. والغريزة والعقل.. وحالات ومستويات النفس (المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء) وما هو سر ومعنى (إلهام النفس) بالفجور أو التقوى.. وكيف يكون.

(٤٩) سبح الجبال في الفضاء أي حركتها في أفلاكها المرسومة، وذلك لأن الأرض كلها تسبح بجبالها حيث هي والجبال كتلة واحدة.. كما في «**سورة النمل / ٨٨**».

(٥٠) ما طبيعة (السقف المرفوع) في السماء؟ وكيف تمت بنيتها بأيد (بقوة).. وما هو سر توسعها وامتدادها المستمر والسريع كما في الآيات (٣٢) من سورة الأنبياء و(٤٧) من سورة الذاريات.

وهذه أمثله فقط من الموضوعات لتي تناولتها آيات القرآن العظيم والتي تشمل مسائل وموضوعات وأمور أخرى كثيرة غيرها من مثل رفع السماء بغير عمد (الجاذبية) وإمساك السماوات والأرض أن تزولا (طاقة الربط) ونظام المجموعة الشمسية وموقع كوكب الأرض التي وضعها الله للأنام وسبح اي سير الشمس والكواكب في أفلاكها بانتظام في نظام محكم ومنازل القمر وتأثيره في المد والجزر واعتباره نور لا يضئ بذاته أي بطاقة ذاتية وانما يستمد من الشمس السراج المنير.وأبواب السماء ما هي وما معناها؟ وقدرات الإنسان العقلية وصلتها بالحواس والإدراك وصلتها بالحواس والإدراك الزائد على الحواس وظواهره المختلفة (E.S.P) والخلق والخلق الإنساني كيف بدأ وكيف يكون عن طريق التكاثر الجنس والتكوين الخلوي من النطفة من المني عند الذكر.. والعلق الذي يلعب الدور الأساسي في عملية حمل المرأة وعملية التكون الجنيني للطفل داخل رحمها (بداية سورة العلق أول ما نزل من القرآن) وكما يقول الدكتور المهندس محمد الحسيني اسماعيل في كتابه «الحقيقة المطلقة» (فعلقة يعني الحيوانات المنوية للرجل فهي كالعلق أي الدود الرفيع «هذه حقيقة علمية» وعندما يتثبت الحيوان المنوي ببويضة الأنثى فقد «علق» بها «وهذه حقيقة علمية ثانية» وعندما تتثبت البويضة الملقحة بجدار رحم المرأة فقد «علقت» به «وهذه حقيقة علمية ثالثة» وعندما تبدأ البويضة الملقحة في الانقسام تأخذ شكل قطعة الدم الغليظ أو الدم الجامد وهذه «علقة أيضاً» «وهي حقيقة علمية رابعة...» وهكذا فالقرآن المجيد يستخدم الكلمات الجامعة التي تنطبق على الجزئيات والكليات معاً وهذا هو الفارق بين الفكر البشري المحدود والفكر الالهي اللامحدود)... «انتهى».

وتتناول الآيات القرآنية التطوير في الخلق الجنيني حتى (الخلق الأخر) فيما هو ممنوح للإنسان من قدرات وطاقات (الروح).. وما هي الروح؟... وماهي أسرار طاقاتها وقدراتها؟...

ثم الظاهرة الخاصة (بالبحر اللجي) أي العميق وما فيه من أمواج مرتفعة ارتفاعاً هائلاً في أعماقه وما يعلو ذلك من أمواج سطحية، وكما ذكر القرآن العظيم ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠]..

وأذكر الحالات التي يتعرض لها الإنسان الذي يحضره الموت الفيزيقي أو الموت الإكلينيكي.. وهي حالات لا تنطبق عليها القوانين الفيزيائية المعروفة للعلماء.. وقد عرفها الدكتور/ رايموند مودي[١] في كتابيه «الحياة بعد الموت» (LIFE AFTER DEATH) «والحياة بعد الحياة» (REFLECTIONS ON LIFE AFTER LIFE) ويقول عنها القرآن العظيم ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الواقعة : ٨٣-٨٥].

وكما في يوم الوعيد الذي يكون فيه النفخ في الصور – وحقيقته غير معروفة- يقول القرآن العظيم ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق:٢٢][٢]. ثم أؤكد باختصار ما يقوله القرآن العظيم عن (الذرة – ATOM) أساس البنية الكونية المعروفة.

القرآن والذرة

تناولت آيات القرآن المجالات التي تبحثها ميكانيكا وفيزياء الكم والمجالات التي تبحثها النسبية العامة، وهي الكائنات والأشياء اللامتناهية في الصغر والكائنات والأشياء اللامتناهية في الكبر وكلاهما أساس البنية الكونية وكلاهما داخل في محتوى علم الإله الخالق الشامل الواسع والمحيط الذي يسع كل شئ جملة وتفصيلاً في جزئياته وكلياته، فقد استعمل القرآن العظيم حقيقة «الوزن

(١) RAYMOND A. MOODY في تجارب الموت الإكلينيكي.

(٢) تحدثنا عن الظواهر المصاحبة للموت الإيكنيكي كما ذكرها الدكتور/ رايمند مودي في كتابته، وذلك في كتابنا «الإسراء والمعراج وعلوم العصر». وناشره دار الكتاب المصري اللبناني.

الذري» في سورة الزلزلة حين يقول ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ ، وذلك عند ميزان أعمال كل إنسان التي يحاسب عليها يوم القيامة. وكذلك أشارت الآيات إلى الجزيئات والحبيبات الدقيقة الأصغر من الذرة في تكوينها الداخلي في أعماقها فيما مثلاً ما لا كتلة له كالفوتون وغيره وفي نفس الوقت أشارت الآيات إلى الكائنات والأشياء اللامتناهية في الكبر نذكر في سورة لقمان مثلاً ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان:١٦]، وذكر في سورة الأنبياء ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٤٧]وذلك أنه إذا نسبنا مثقال حبة الخردل في حجمها ووزنها إلى (صخرة) فإن الأمر قد يمكننا قياسه أو إدراكه أما إذا نسبنا مثقال حبة الخردل في حجمها ووزنها إلى (الأرض) فإن الأمر يصعب أن لم يكن يستحيل قياسه أو إدراكه.

أما إذا نسبنا حجم وزن مثقال حبة الخردل إلى (السماوات) أي الكون في اتساعه الشاسع فإن لأمر يكون فوق كي قياس أو إدراك أو تصور أو تخيل أو افتراض نظري وتفسيره حينئذ لا يخضع لاعتبارات فيزيقية بحتة.

وفي كل ما سبق يقول القرآن العظيم ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:٦١]، فالآية تشير إلى موجودات أصغر من الذرة من مثل ما أكتشفناه مؤخراً فقط من البروتون والنيوترون والفوتون والكواركس وغيرها مما يدرس في ميكانيكا وفيزياء الكم (Quantum) وضمن (Highenergy – Particle physics) فيما تخصص وتفوق فيه العالم الكبير مؤلف كتاب «موجز تاريخ الزمن» وترجع فكرة أو مفهوم الذرة إلى الفيلسوف اليوناني ديموقريط (Democritus) (٤٦٠-٣٧٠ ق.م) الذي كان يعتقد أن الجسم يتألف من أجزاء صغيرة لا تنقسم أي ذرات لا تتجزأ ولا ترى

بالعين.

وأقول عن كوننا الذي نعيش فيه ونعايشه أنه يختلف عن الكون الذي تعايشه الكائنات الروحية النورية أو يعايشه الإنسان في البرزخ بروحه الطليقة أو ربما المقيدة حسب أعماله في الدنيا وذلك لاعتبارات الاختلاف بين المادى وبين الروحي أو النوري وما يتعامل فيه كل منهما من ماديات وقوى وطاقات وخواص وخصائص النوري المختلف عن المادي والمغاير لوجودنا وأن كنا لا نرصده أو نراه كما في حياة البرزخ ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، والبرزخ هو الحاجز بين الحياتين والوجودين الدنيوي والأخروي..

وعلى ذلك فقد استعمل القرآن العظيم «الذرة» كوحدة قياس في الصغر ووحدة قياس في الوزن فذكر أن رمز الصغر المطلق في الكون هو الذرة، وهو رمز عام أو شامل أو مشترك أو مطلق في القياس في الكون، كما في الوزن الذري هو المقياس الرمزي للإحاطة بسلوك الإنسان كله، وكل تفاصيله ساعة الحساب يوم القيامة.

وأخيراً يحدثنا القرآن العظيم عن جزيئات الذرة الأصغر من وحدتها الكلية، وذلك عند الحديث عن الحجم الذري وقوله ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ في سورة يونس أي من مثقال الذرة. فالعلماء كانوا عاجزين عن رؤية الذرة مباشرة، ولكن أمكن للعلماء فقط إدراك صفاتها وفهم مميزاتها وتفاعلاتها مع الضوء. ولكن في مرحلة زمنية سابقة أسيء فهم مقاصد وغايات النظرية الذرية (Atomism) من قبل البعض الذين اعتبروها مقابلة للإلحادية المادية ولم يتم بحث النظرية الذرية أو إحياؤها بصورة جدية إلا في العصور الحديثة (القرن ١٦ على وجه التقريب) وإذا كان العلماء لم يتمكنوا من رؤية الذرات ساكنة إلا في أواخر القرن العشرين فإنهم لم يتمكنوا من رؤية ورصد الذرات وهي في حالة حركة. وفي النهاية ثبت أن مفهوم ترابط الجذيئات والذرات مفهوم أساسي في علم الفمتوكيمياء باعتباره المفتاح الرئيسي في التعرف على دنيا الجذيئات والتحكم

فيها على المستوى الذري واكتشف عندها الدكتور أحمد زويل أن ذلك يكون باستخدام تقنيات تعتمد على استخدام الليزر وتمكن بكاميرا معينة أدق من أجهزة ليزر بيكو ثانية (وهي جزء من ألف بيكو من الثانية) من رصد الذرات وهي في حالة حركة وهكذا ولدت علوم جديدة مثل «الفيمتوكيمياء» «والفيمتوبيولوجيا» و«الفيمتو ثانية» التي ساهمت في ترويض المادة وقياس الزمن. وبرهنت هذه العلوم أن الجزئيات يمكنها أن تتحرك حركة مترابطة ومنتظمة لا تشوبها شائبة. وكانت فكرة قياس الزمن وتسجيل الأحداث وترتيبها ومراقبة ديمومتها في العالم الطبيعي إنجاز علمي لم يحسب حسابه ستيفن هوكنج ولا علم أو توقع تأثيراته على مفاهيم له في الفيزياء النظرية أو في الكوانتم التي أظهرت للعيان المنظر الطبيعي للذرة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأعمال والإضافات العلمية لكل من الحسن بن الهيثم في الضوء والإبصار ثم جاليليو في الزمن والحركة قد فتحا نافذة في جدار العلم تعرفنا من خلالهما على رؤية جديدة وتصور جديد لم يكن معروفًا فيما يتعلق بالعالم الخفي أو غير المرئي من خلال ابتكاراتهم لمفاهيم جديدة وابتداعهم لآلات متطورة.

هذا والعلاقة وثيقة بين أعمال الحسن بن الهيثم في الضوء والإبصار وبين ما توصل إليه العلماء بعد (المعروف باسمه المحرف الهازن في أوروبا (Alhazen) ذلك في بحوثهم حيث أنه من خلال الضوء تمكن علماء مثل أحمد زويل من التقاط صور للذرات وهي في حالة حركة وعمل.

الفصل الأول

ستيفن هوكنج

لا شك أن ستيفن هونكج[1] قد حقق شهرة عالمية كبيرة، وذلك لنبوغه في تخصصه وهو الفيزياء النظرية، وأيضاً لتعاطف العالم مع ما أظهره من قوة إرادة وعزيمة في مواجهة مرض شديد معجز أصيب به في بدايات شبابه ، حتى صار مثلاً أعلى وقدوة للكثيرين.

وإذا كان ستيفن هوكنج قد شغل لسنوات كرسي الأستاذية الذي شغله إسحق نيوتن في جامعة كمبردج فشتان بين الرجلين في موضوعيتهما الفكرية وفي عمق نظرتهما الفلسفية . لذلك لاعتب علينا أن نحلل أفكار هوكنج الفلسفية أو تعترض عليها، طالما بقينا بعيدين عن مجال تخصصه العلمي الذي لا قِبَل لنا به .

لسنوات طويلة ، ترك هوكنج الباب للسؤال حول الإله مفتوحاً . ففي ختام كتابه «تاريخ موجز للزمن» [2] كتب يقول : «إذا اكتشفنا النظرية الجامعة لقوى الفيزياء سنكون قد حققنا أنتصاراً كبيراً للعقل البشري، وعندها ستكون قد فهمنا عقل الإله». فرح المتدينون بذلك الرأي وأعتبروا هوكنج عالماً مؤمناً، وأستشهدوا برأيه على صحة موقفهم. وفي كتابه الأخير التصميم العظيم»[3] بدَّل هوكنج موقفه وأعلن أنه «لم يعد هناك مجالا للقول بوجود الإله»، عندها أنتشى كبير الملحدين ريتشارد دوكنز[4] وأعلن أنه « إذا كان داورن قد ألقى بالإله بعيداً Kiched out عن علم البيولوجيا، فقد ظل له موضعاً في الفيزياء حتى أخرجه منها ستيفن هوكنج » . هل دعوى دوكنز صحيحة؟ فلنرى.

وبذلك يتقلب الدكتور/ ستيفن هوكنج بين إيمان بالإله وبين إنكار له وكفر به،

(١) من كتاب « خرافة الإلحاد » للدكتور عمرو شريف ، الناشر مكتبة الشروق الدولية.

(٢) A Brief History of Time ، صدر عام ١٩٩٨ في بريطانيا..

(٣) The Grand Design ، صدر عام ٢٠١٢ ، وشارك في تأليفه الفيزيائي ليونارد ملودنيو .

(٤) بيولوجي وكبير الملاحدة الجدد، بريطاني ولد في نيروبي بكينيا عام ١٩٤١م (RICEHARD DAWKINS).

وهي تقلبات سبق أن أشار إليها القرآن العظيم ولحالات أصحابها بوصفه لهم بتقلبهم وترددهم بين الإيمان والكفر والازدياد في الإنكار والكفر كما في «سورة النساء/ ١٣٧» وذكر أن ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧]. وللأسف أن ستيفن هوكنج من هؤلاء الذين ينطبق عليهم وصف آيات القرآن العظيم.

التصميم العظيم The Grand designe

يقول الدكتور عمرو شريف في كتابه «خرافة الإلحاد» أن ستيفن هوكنج في كتابه « تاريخ موجز الزمن »، ذكر أن الأحداث التي صاحبت وأعقبت الانفجار الكوني الأعظم كانت تخرق قوانين وثوابت الفيزياء ، مما أحتاج إلى التدخل الإلهي . ثم بَدَّل هوكنج رأيه في كتاب « التصميم العظيم » وأعلن أن قوانين وثوابت الفيزياء التي تعهدها قادرة على إيجاد وتشكيل الكون ، ومن ثم لا حاجة للقول بوجود الإله. أنظر إلى قوله : «لأن هناك قانون كقانون الجاذبية فقد خلق الكون نفسه من عدم»[(١)].

ويستطرد الدكتور عمرو شريف:- « وفي ذلك مُغالطات علمية ومنطقية تتماشى مع مفاهيم رتشارد دوكنز الإلحادية التي منها : -

أولاً : يقع هوكنج في نفس الهوة التي يتردى فيها معظم الملاحدة وإن أحتلوا مراكز علمية مرموقة، وهو أعتبار أن ما يمكن تفسيره بقوانين الطبيعة ليس بحاجة إلى وجود إله. إنه الخلط الساذج بين الإله الخالق (كسبب أول) وبين قوانين الطبيعة (كآلية). إن ذلك يشبه أن تختار لتفسير عمل المحرك النفاث بين قانون الدفع لنيوتن[(٢)] وبين مصمم المحرك المهندس العبقري سير فرانك ويتل[(٣)]. إن

(١) صفحة (١٨٠) .

(٢) لكل فعل رد فعل مساو له في القوة ومضاد له في الاتجاه . ويعتمد عمل المحرك النفاث على هذا القانون .

(٣) Sir Frank Whittle : (١٩٠٧ – ١٩٩٦) ، ضابط مهندس بالسلاح الجوي الملكي البريطاني ، مخترع المحرك النفاث .

الأختيار بين الآلية وبين السبب الأول خطأ منهجي بّينٌ ، فأنت هنا تختار بين «مستويات مختلفة » وليس بين «بدائل» . وهذا الخطأ يُعرف في المنطق بالخطأ الطبقي Category Error .

لم يقع سير إسحق نيوتن في هذا الخطأ الساذج. فعندما أكتشف قانون الجاذبية لم يقل : الآن توصلت إلى قانون الجاذبية، لم أعد بحاجة لوجود الإله. لكنه كتب أشهر كتاب في تاريخ العلم «قواعد الرياضيات Principia Mathematica» وسجل فيه : أتمنى أن يقنع هذا الكتاب الإنسان المفكر بالإيمان بالإله.

إن قوانين الطبيعة تشرح للإنسان كيف يعمل المحرك النفاث، لكن لا تنفي أن هناك من أبتكر هذا المحرك، فلا شك أن قوانين الطبيعة لم تقم بهذا العمل، بل إن القوانين نفسها أحتاجت لمن يكتبها ويخرجها إلى الوجود ويمدها بفاعليتها. كما أن هناك المادة (وهي أهون الأمور) التي أنطبقت عليها هذه القوانين والتي أستخدمها سير وتيل في صنع المحرك، ولا شك أن هذه المادة لم تنتجها قوانين الطبيعة.

نحن هنا أمام ثلاثة أمور (السبب الأول – المادة – القوانين التي تحكم سلوك المادة) ولا شك أن القوانين عاجزة بذاتها عن فعل أي شئ، فهي ليست إلا توصيف رياضي لما يمكن أن يحدث تحت ظروف معينة. إن القانون الرياضي يقول لك – ببساطة – إذا كان لديك (أ) فإنك ستحصل على (ب)، لكن ينبغي أن يكون لديك «أ» أولاً . إن تصور هوكنج أن قوانين الطبيعة قادرة على إنتاج المادة / الطاقة وعلى كتابة وتفعيل ذاتها إنما هو خيال علمي سقيم .

وفي كتابه « تاريخ موجز للزمن» كان هوكنج متنبهاً لهذه الحقيقة – قبل أن يتنكر لها في كتابه التصميم العظيم – فقال : إن توصل العلم لقوانين الفيزياء لا يعني أن هذه القوانين هي التي أنشأت الكون، ولا يجيب بالتبعية عن سؤال لماذا يوجد كون في الأصل . هل إذا توصلنا إلى النظرية الجامعة لقوى الفيزياء فإن ذلك

يعني أن النظرية أوجدت نفسها، أم أنها تحتاج إلى خالق؟ وهل لهذا الخالق دور آخر في الكون، سوى كتابة القوانين؟

ثانياً : تشير مقولة هوكنج « لأن هناك قانوناً كقانون الجاذبية فقد خلق الكون نفسه من عدم» إلى أن نشأة الكون كانت حتمية نتيجة لوجود الجاذبية بالرغم من أنه ليس هناك دليل علمي واحد على هذه الحتمية، فمازلنا لا ندري لماذا نشأ الكون بدلاً من أن يمتد العدم.

ثالثاً : عندما يتبنى هوكنج أن الكون أنشأ نفسه من عدم، فقد وقع في مغالطة علمية وعقلية كبيرة. فرأيه يعني أن شيئاً لم يوجد بعد قادر على إيجاد ذاته! إن اللامنطقية تظل لا منطقية حتى وإن صدرت عن عالم عالمي شهير[1] .

رابعاً : لم يفسر هوكنج في كتاباته لماذا يتبع الكون هذا الإنتظام الدقيق المعجز الذي وقف عنده أينشتين وغيره من المفكرين الكبار، فقادهم إلى الإيمان بالإله. كان أولى بهوكنج أن يتأمل حكمة آلان سانداج أب علم الفلك الحديث حين قال : « أرى إستحالة أن يأتي هذا النظام من الفوضى، لابد من منظم. إن الإله بالنسبة لي شديد الغموض، لكنه التفسير الوحيد لمعجزة الوجود بشقيها: لماذا هناك شيء بدلاً من لا شيء ؟ ولماذا هذا الانتظام المدهش؟

خامساً : من الأطروحات التي يروج لها هوكنج في كتابه « التصميم العظيم» أن التوصل لنظرية التوحيد الكبرى، التي تجمع قوى الطبيعة الأربع الكبرى في معادلات رياضية مشتركة، كفيل بتفسير ما في الكون من دقة متناهية وأن يقضي على الأحتياج لوجود إله خالق. نتفق مع هوكنج في أن التوصل لمثل هذه النظرية يعني وجود أقصى درجات الترابط والتصميم في بنية الكون، أما أن نستنتج من وجود هذه الدقة المتناهية عدم الاحتياج إلى سبب أول فذلك خيال عقلي خاطئ

(١) فرضية (النموذج الكمومي للكون) التي يطرحها هوكنج لتفسير نشأة الكون من عدم تعرض لها، آرار كبار الفيزيائيين و لفلكيين تجاه ما فيها من عوار وتضارب منطقي .

فالعكس هو الصحيح .

سادساً: أقر هوكنج بملاءمة بنية الكون لنشأة الحياة (المبدأ البشري). ولتفسير ذلك يتبني القول بالأكوان المتعددة. ويدهشنا تمسك هوكنج بفرضية الأكوان المتعددة التي ليست إلا طرح فلسفي ضعيف بعيد كل البعد عن المفاهيم العلمية.

سابعاً: إذا أنتقلنا من القوانين والنظريات الرياضية إلى عالم البيولوجيا، يفجأنا هوكنج باتباع أسلوب سفسطائي مشهور، وهو أن يطرح تصوراته الإلحادية المسبقة بأعتبارها مقدمات مُسَلَّم بها دون أدنى دليل! انظر إلى قوله : لا أجد أمامي تفسيراً لنشأة الذكاء الإنساني وقدرتنا على التوصل لقوانين الطبيعة ووضع النظريات العلمية إلا الانتخاب الطبيعي الدارويني، فالاكتشافات العلمية تحقق فرصاً أفضل للحياة .

قد نقبل من هوكنج هذا الادعاء بخصوص الاكتشافات العلمية التي لها علاقة مباشرة ببقاء الجنس البشري، أما الكثير من الأكتشافات العلمية الدقيقة فلا يخضع للانتخاب الطبيعي ويبين بول ديفيز[1] ذلك قائلاً لا شك أن الانتخاب الطبيعي يلعب دوراً هاماً في بعض مهاراتنا كالقفز فوق مجاري الماء والتقاط الثمار المتاسقطة من الأشجار، لكن لا أرى له دوراً في التوصل إلى المفاهيم العلمية التي ليس لها علاقة مباشرة ببقاء الجنس البشري، كإدراك ما يحدث داخل الذرات أو الثقوب السوداء أو نظرية الأوتار، أو المفاهيم الفلسفية العامة كالغرض من وجودنا ومنشأنا ومآلنا. إن هذه أمور لاعلاقة للتطور الدارويني بها». لقد بَسَّطَ هوكنج الأمر بشكل مخل ليدعم تصوراته الإلحادية .

***

(١) PAUL DAVIES عالم الفيزياء البريطاني المتخصص في علوم الكون وفيزياء الكم مهتم بتبسيط العلوم وعلاقة العلم بالإله وله العديد من الكتب في هذا المجال.

نظرة الفيزياء إلى الكون

مرت الفيزياء المعاصرة بمرحلتين أساستين : الفيزياء الكلاسيكية (التقليدية) ثم تداخلت معها الفيزياء الحديثة (فيزياء الكم والنظرية النسبية). وإنه وإن كانت الفيزياء الكلاسيكية والحديثة غير كافية وحدها كعلم لتفهم الكون وتفسير نشأته وأستمراريته ومآله وكثير من الأسئلة التي تثار بشأنه فسنذكر مع ذلك كيف تنظر الفيزياء الكلاسيكية والفيزياء الحديثة إلى الكون راجعين في ذلك بأختصار غير مخل إلى كتاب «خرافة الإلحاد» للذكتور عمرو شريف.

الفيزياء الكلاسيكية

تتوج رأس الفيزياء الكلاسيكية قوانين نيوتن للحركة والجاذبية[١] وقوانين ماكسويل للكهرومغناطيسية وقوانين الحرارة. وتنظر الفيزياء الكلاسيكية إلى الكون باعتباره آله ميكانيكية تعمل تبعاً لقوانين الفيزياء الثابتة. أي أن الكون هو : المادة + الطاقة + قوانين الفيزياء الكلاسيكية. وتعني كلمة « ميكانيكية » أن قوانين الفيزياء وحدها كافية لوصف سلوك الكون، حتى أن ما في الكون من قوانين كيميائية وبيولوجية يمكن رده لقوانين الفيزياء لذلك تُعتبر قوانين الفيزياء متكاملة مكتفية بذاتها.

وقد مرت الفيزياء الكلاسيكية من المنظور الفلسفي بمرحلتين متعاقبتين.

أ – منظور نيوتن : بالإضافة للنظرة السابقة للفيزياء الكلاسيكية، احتفظ نيوتن

(١) إنها فيزياء قوانين البقاء Conservation الشهيرة

- قانون بقاء الزخم : يظل زخم (القوة الدافعة) نظام ما ثابت في المقدار والاتجاه ما لم يؤثر فيه مؤثر خارجي؟
- قانون بقاء المادة : المادة لا تفني ولا تُستحدث.
- قانون بقاء الطاقة : تظل طاقة المنظومة ثابتة ما لم يؤثر فيها مؤثر خارجي.

للإله في منظومة عمل الكون بدور يقوم على دعامتين، الأولى أن قوانين الطبيعة من خلق الإله، سواء بأن جعلها مكوناً ثابتاً في بنية المادة، أو أنه حدد للمادة السلوك الذي ينبغي أن تتبعه وألزمها به. والدعامة الثانية، أن الإله لم يرفع يده عن الكون، وأنه مسئول عن حفظ الكون وتعديل أي خلل فيه (كالخلل في مسارات الكواكب).

إن ذلك يعني أن «الكون مفتوح» للفعل والإرادة الإلهية، ومن ثم لا تحكمه الحتمية. ولدوره الرائد في الربط بين الفيزياء والدين أمر البابا ألكسندر أن يُكتب على قبر نيوتن : كانت قوانين الطبيعة ترقد في ظلام الليل، ثم قال الإله فليكن نيوتن ، فأضاء كُلُ شيء.

ب – منظور لابلاس : عندما سأل نابليون الفلكي لابلاس عن دور الإله في نشأة الكون وعمله، وأجاب الأخير بأنه لا يرى مبرراً لهذا الأفتراض (أي أن لا دور للإله في الكون)، فإن لابلاس يكون قد أضاف إلى الفيزياء مفهوماً فلسفياً غير خاضع للإثبات. وهو أن الكون خال من التدخلات الإلية، أي أنه « كون مغلق» مكتف بذاته، وأن سلوك الكون وكل ما فيه حتمي، لذلك صرنا نتحدث عن «حتمية لابلاس» التي تلغي دور القدرة والإرادة الإلهية، لذلك فإن :

منظور لابلس = منظور نيوتن + الكون مغلق وحتمي

وإذا نظرنا بعمق، نجد أن الفيزياء الكلاسيكية لا تتعارض مع النظرة الدينية، بل لا تتعارض مع حدوث المعجزات ! ذلك أن القوانين الفيزيائية لا تحدد كيف يسلك الكون عندما يكون مغلقاً مكتف بذاته، وهو افتراض لا يمكن إثباته علميًّا أو فلسفيًّا.

***

الفيزياء الحديثة[١] :

من المفارقات المدهشة، أنه في خضم الصراع من أجل فرض مفهوم الكون المغلق والحتمية الفيزيائية ظهرت فيزياء الكم، التي ظن البعض أنها ستؤكد هذين المفهومين، لكن جاءت الرياح على عكس ما تشتهي سفن الماديين .

ربما كان أهم مفاهيم فيزياء الكم التي تتعلق بقضيتنا هو مفهوم اللاحتمية[٢]

---

(١) فيزياء الكم quantum Physics: تنظر الفيزياء التقليدية (الكلاسيكية) إلى المادة باعتبارها مكونة من أجسام يؤثر بعضها في بعض طبقاً لقوانين نيوتن، كما تهتم بدراسة المجالات المغناطيسية والكهربائية من خلال معادلات ماكسويل، وتشمل كذلك الفيزياء الحرارية التي تخضع لقوانين الفيزياء الحرارية الثلاثة. والسمة المشتركة بين مجالات الفيزياء الكلاسيكية المختلفة، هي امتثالها بشكل مطلق للقوانين الفيزيائية التي تحكمها وهو ما يُعرف بـ « الحتمية المطلقة Complete Deteminism ».

أما فيزياء الكم فهي علم ظهر في بداية القرن العشرين، ونجح في تفسير العديد من الظواهر التي لم تستطع الفيزياء الكلاسيكية تفسيرها من قبل.

وتشمل فيزياء الكم (الكوانتم) على مجموعة المبادئ التي تتعامل مع الأنظمة الفيزيائية الدقيقة : الجزيئات والذرات والبروتونات والنيوترونات والإلكترونات والكواركات وباقي الجسيمات تحت الذرية. وتدرس كذلك موجات أنواع الطاقة المختلفة (عن كتاب خرافة الإلحاد للدكتور عمرو الشريف عن الفيزياء الحديثة).

(٢) مفهوم الأرتياب (اللاحتمية) من المفاهيم الأساسية في فيزياء الكم. ونضرب مثالين لتوضيح هذا المفهوم : إذا سقط مائة فوتون (وحدة جسيمات الضوء) على مرة، فإن حوالي ٩٥٪ منها تنعكس تجاه أعيننا لنرى الصورة، بينما تنفذ ٥٪ منها خلال المرآة. لكن إذا سقط فوتون واحد على المرآة فلن نستطيع أن تجزم هل سينعكس هذا الفوتون أم سيرتد، لكن يمكننا القول إن هناك احتمالا مقدراه ٥٪ لأن ينفذ.

من المعروف كذلك أن ذرات العناصر المشعة كاليورانيوم تفقد نصف قدرتها على الإشعاع، وتتحول إلى عناصر خاملة في فترة أطلق عليها الفيزيائيون « فترة نصف العمر». لكن أي نصف من الذرات هو الذي يتوقف عن الإشعاع، لا نعرف، أقصى ما نستطيع قوله، إن أمام كل ذرة فرصة مقدارها ٥٠٪ لأن تتوقف عن الإشعاع وتتحول لذرة خاملة (ذرة رصاص في حالة اليورانيوم). =

Indeterminism or uncertainty الذي ينسف حتمية لابلاس. ففي الفيزياء الكلاسيكية إذا كان لدينا منظومة تتكون من مجموعة من الجسيمات، لكل منها موضعه وكتلته وسرعته عند الزمن «ن»، ففي اللحظة اللاحقة « ن + ١ » سيتغير الموضع والكتلة والسرعة إلى قيم أخرى محددة يمكن التنبؤ بها. أما في الفيزياء الحديثة، وفي ضوء اللاحتمية لن يكون للجسيمات عند «ن» و «ن + ١ » قيّما محددة، بل سيكون هناك «إحتمالية» (مجموعة لا نهائية من الاحتمالات لكل منها نسبته) لمختلف صفات كل جسيم.

لم تلغي الفيزياء الحديثة حتمية لابلاس وحسب، بل فتحت بمفهوم الاحتمالية الباب على مصراعية للتدخلات الإلهية، فالإله قادر على التدخل في أي منظومة ليُرَجِّح أحد الاحتمالات على ما سواها، وبذلك يتغير المُخْرَج بشكل جذري[(١)] ، ويعارض أينشتين «مفهوم اللاحتمية» في فيزياء الكم ويرى أن هناك قوانين دقيقة للغاية – لم ندركها بعد – تحكم سلوك الجسيمات تحت الذرية[(٢)]، وبذلك يردنا إلى ميكانيكية الفيزياء الكلاسيكية. لكن أينشتين يرفض حتمية لابلاس التي تعتمد على أن الكون مغلق، بل يرى للإله دورًا في الكون، كما كان نيوتن يؤمن. ومن ثم ، سواء بقيت فيزياء الكم على ما فيها من لا حتمية أو تبنت مفهوم الميكانيكية، فهي ميكينيكية نيوتن المؤمنة وليست ميكانيكية لابلاس الحتمية الملحدة .

= معنى ذلك أننا ندرس سلوك الجسيمات (وكذلك الموجات) بناءً على «الاحتمالات» Probability. (وهذا ما يعرف بـ«مبدأ الأرتياب أو اللاحتمية» Uncertainty Principle للفيزيائي النمساوي فيرنر هايزنبرج). وذلك في مقابل الحتمية المطلقة التي تتعاغمل بها الفيزياء الكلاسيكية .

(١) يؤيد هذا المفهوم من علماء فيزياء إلكم Willian Pollard (عام١٩٥٨) و The Ghirardi-Rimini – Weber (GRW Approach)

(٢) يتعلق نفس المفهوم على منظمات الشواش التي يعتبرها الكثيرون منظومات عشوائية، لكن الحقيقة أنها تتبع قوانين دقيقة للغاية تفوق قدرتنا على إدركها .

ستيفن هوكنج في موجز تاريخ الزمن

طرح ستيفن هوكنج في كتابه الأشهر «تاريخ موجز للزمـان» نموذجـاً لكيفيـة نشأة الكون من العدم دون الحاجة إلى موجد[1]. ولا شك أن ستيفن هـوكنج هـو رجل العصر لعبقريته ولأسباب أخرى، لكن ذلك لم يمنع نجاح الفيزيائيين النابهين الآخرين في تفنيد نموذجه، إن اعتراضهم لم يكن على نظرته الرياضـية، ولكـن عـلى التضارب المنطقي داخل هذا النموذج.

ويدحض الرافضون لهذا (أن ينشأ شئ من لا شئ دون سبب) لأربعة أسباب:

١ – لم يقدم مُدَّعو هذه التخمينات أي دليل علمي على صحتها.

٢ – إن العدم المطلق الذي يعـي هـؤلاء أن الكـون قـد صـدر عنـه لا يملـك

(١) يُعرف بنموذج هارتل – هوكنج، أو النموذج الكمومي للكون. ويتعتمد هذا النموذج على مفهـوم يطرحه هوكنج لأول مرة وهو مفهوم «الزمن التخيل» Imaginary Time. وهو تطبيق لمفهوم الرقم التخيلي. فإذا بحثنا عن الجذر التربيعي لرقم مثل (-٤) فلن نجد رقمًا حقيقياً (إذ إن -٢X- ٢ =+٤). لذلك قام هوكنج بوضع رمز (X) ليشير إلى هذا الرقم الذي لا وجود له، ووضـع X في معادلاته الخاصة بحساب الزمن، فنتج زمن تخيلي، عنـدما اسـتخدمه هـوكنج في حسـاباته أزال الحاجة إلى موجد أول».

يخبرنا سير هيربرت دنجل Sir Herbert Dubgle رئيس الجمعية الفلكيـة الملكيـة بـإنجلترا، أن مفهوم الأرقام التخيلية إذا كان صحيحاً من الناحية الرياضية، فلا اعتبار له من الناحيـة التطبيقيـة، ويستدل على ذلك بمثال يعرفه كل التلاميذ الدراسين للرياضيات.

إذا كان عـدد الرجـال المطلـوبين لوظيفـة مـا هـو (X)، وكـان X في بعـض المعـادلات لهـا عـدد ن الاحتمالات موجبة، سالبة، عدداً صحيحاً، كسراً، عدداً تخيلياً، عدداً مركباً، سفراً، لا نهايـة، أو أي شكل آخر من الأشكال التي ولَّدتها عقول الرياضيين فإننا بالتأكيد سنعتبر X (عـد المـوظفين المطلوبين) رقماً صحيحاً موجباً، ونرفض باقي الاحتمالات. إن الرياضيات لا تسـتطيع وحـدها الاختيار بين البدائل في المثالث السابق، وسنعتمد على المنطق، والخبرة، والتجربة.

ومن ثَمَّ، فإن الزمن التخيي الذي نشأ عن وضع الأرقام التخيليـة في معـدلات هـوكنج لا اعتبـار لـه، وسيقت إلى زمن حقيقي إذا أستبدل الـرقم التخـيلي بـرقم حقيقـي، عنـدما سـتظهر الحاجـة إلى «المسبب الأول»

«موارد» ولا «دافعاً» لإنتاج شئ ما، ولو أفترضنا حدوث ذلك فلن يكون العدم عدمًا مطلقاً.

٣ – مشكلة الملاحدة الكبرى، هي تصورهم أن القول «بإله خالق» يتعارض مع« المهنج العلمي»، ولكن ألا يتعارض خروج شئ من لا شئ دون سبب مع المنهج العلمي؟! إن ذلك يدمر العلم الذي يقوم على البحث عن العلاقة بين الحدث والمسبب. بل إن القول بأن هذا الشئ قد حدث وفقط، يقضي على التفكير والتحليل المنطقي.

٤ – هناك إدراك عند البشر (عبر التاريخ وعبر الجغرافيا) ببداهة فكرة «أن كل حدث له سبب»، وهو ما يُسمى بقانون « العلاقة بين الحدث والمسبب law of cause and effect. لذلك فإن القول بوجود كون حادث (له بداية) دون مُحِدث ودون مصدر سابق عليه سيكون خبره البشرية الأولى والوحيدة في هذا الشأن!!

وإنه قبل إنتهاء القرن الماضي (العشرين) أصبح علماء الكونيات يملكون أربعة أدلة قاطعة على أن للكون بداية[1] وهذه الأدلة هي : –

أولاً : أشرنا إلى ما أثبته هابل من أن المجرات تتباعد (ظاهرة الإزاحة الحمراء للمجرات)، أي أن الكون يتمدد. ولو عدنا بحساباتنا الرياضية للوراء، سنصل إلى اليوم الذي كانت فيه المسافة بين المجرات تساوي صفراً، أي لحظة بداية الكون.

ثانياً : من المفاهيم الأساسية في « القانون الثاني للديناميكا الحرارية » Second Law of Thermo-Dynamics أن حرارة الكون تتناقص دائماً من (وجود حراري) حتى تصل إلى عدم حراري)، أي أن الكون يبرد(حرارته الآن ٣.٧ فوق الصفر المطلق). ولو كان الكون أزليّ، أي لا بداية له لفقد حرارته كلها وفَنَى منذ زمن بعيد.

(١) الدكتور عمرو شريف – في كتابه «خرافة الإلحاد».

ثالثاً: عندما كان الفيزيائيان الأمريكيان في معامل بل للتليفونات في نيوجيرسي (آرنو بنزياس، وروبرت ويلسون) يختبر أن أحد المجسات الدقيقة والحساسة للموجات الميكروية Microwaves [(1)]، التقط المجس إشارات تشويش أكثر مما كان الباحثان يتوقعان، وظل التشويش ثابتاً ليلاً ونهاراً وعلى مدار السنة، على الرغم من دوران الأرض حول محورها وحول الشمس. كما وجد الباحثان أن التشويش يأتي من كل صوب وبالشدة نفسها، سواء من داخل مجموعتنا الشمسية أو من أماكن أخرى من مجرتنا أو من خارج المجرة. لقد برهن ثبات التشويش على أن الكون متماثل في جميع الأتجاهات[(2)].

رابعاً: تتشكل العناصر الثقيلة (كالحديد والنحاس والذهب) عن طريق اندماج العناصر الخفيفة، وقد توفرت الحرارة العالية المطلوبة لتحقيق هذا الإندماج في النجوم المستعرات Supernova أما العناصر الخفيفة (الهيدروجين والهيليوم) التي تتشكل من الجسيمات تحت الذرية فتحتاج إلى درجات حرارة أعلى كثيراً، ولما كانت هذه العناصر موزعة بشكل متساو في مختلف أرجاء الكون فذلك يعني وجود هذه الحرارة الهائلة في جميع هذه الأرجاء، أي أن الكون نشأ بحادث واحد مهول مُنتج للحرارة وليس بأحداث متكررة متشابهة في أماكن مختلفة، وهذا الحادث لا يكون إلا الانفجار الكوني الأعظم .

هكذا أجاب العلم على القضية الفلسفية المعقدة حول «هل الكون قديم أم

(١) فرن الميكروويف الذي نستخدمه في طهي الطعام تشبه موجاته موجات الضوء تماماً إلا أن أطوالها أطول كثيراً وتصل إلى نحو سنتيمتر واحد.

(٢) ماهي مصدر هذا التشويش الكوني الثابت؟ : لقد كان الكون المبكر ساخناً جداً ومتوهجاً إلى درجة البياض نتيجة للأنفجار الهائل الذي بدأت به نشأة الكون، وكان ينبغي أن يصلنا هذا التوهج (ضوء) من جميع أجزاء الكون. ولما كان الكون يتمدد، فإن الضوء أعترته إزاحة حمراء كبيرة، حتى وصل إلينا على هيئة أشعة ميكروية (التشويش) بدلا من الضوء المرئي. إنه دليل « عملي» هائل لا يُدحض على أن الكون متماثل، يتمدد، يبرد . فأستحق عليه صاحباه جائزة نوبل عام ١٩٧٨ – (من كتاب الدكتور عمرو شريف «خرافة الإلحاد»).

حادث؟»، فقال كلمته – التي أتفقت مع كلمة الدين – بأن الكون حادث، وقد أصبح هذا المفهوم بمثابة حقيقة وبديهة علمية .

وأنا أود أن أضيف أنه لما كانت الحياة لاتزال قائمة ولازالت العمليات الكيميائية والطبيعية تسير في طريقها فإننا يمكننا أن نقول بالمفهوم والمنطق العلمي « أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن وتوقف كل نشاط في الوجود ولذلك فلابد أن يكون لهذا الكون بداية هي الحقيقة التي يقول فيها أحد كبار علماء الحيوان والحشرات هو أدوارد لوثركيسيل (Edward luther Kessel) إن العلوم تثبت وجود إله لأن ماله بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ بنفسه ولابد له من مُبدئ أو من مُحرك أول أو من خالق ، هو الإله» .

كتاب الثقوب السوداء والأكوان الطفلة

يقول الدكتور ستيفن هوكنج في كتابه « الثقوب السوداء والأكوان الطفلة»[1]. Black Holes and Baby Universes أنه لا يوجد تاريخ واحد فقط للكون والأقرب أنه توجد مجموعات من كل تاريخ ممكن للكون. وكل هذه التواريخ متساوية في صحتها.

وفي كتابه «التصميم الذكي» «قال هوكنج بفرضية وجود أكوان عديدة مثل كوننا وجدت من لا شئ وقليل منها يسمح بوجود حياة كحياتنا ولكن الألهة والشياطين لا يتدخلون في تسييرها أو تسيير الكون الذي تتحكم فيه قوانين الطبيعة». ويعتبر RIEHARD FEYNMAN صاحب هذه الفرضية، ثم يتحدث عن (الزمن المتخيل أو التخيلي) IMAGINARY وأنه وإن لم يكن من الضروري فهم معنى الزمان التخيلي بالضبط إلا إنه يختلف عما نسميه (الزمان الحقيقي) Real Time وبذلك فإن ميكانيكا الكم تريد أن تعطينا رؤية مختلفة عن الحقيقة

(١) الذي أصدره في عام ١٩٩٣ .

ويقول هوكنج ان هذا المفهوم له مجال تتحكم فيه نظرياتنا الفيزيائية[١] وفي مفهوم (الزمان التخيلي) أقترحت أنا (هوكنج) وجيم هارتل أن الكون ربما لم يكن له بداية ولا تكون له نهاية .. وسيظل هوكنج في رأيي الشخصي ومن على معتقده يعملون جاهدين على التوصل لنظرية كم شاملة تفسر كل شئ في الكون (جاذبية الكم) (T.O.E)[٢]. وإنني لست أدري ولا أعلم كيف سيكون لمثل هذه النظرية إن أمكن التوصل إليها أي تأثير على مفهوم الألوهية والربوبية أي مفهوم (الله) كما هو في الإسلام والقرآن العظيم، والذي أعتقد أن هوكنج ومن هم مثله في المعتقد لا يعلمون عنه شيئا أو لنقل لا يعلمون المعلومات الكافية والصحيحة بشأنه وأحب أن أقول هنا أن هوكنج في كتابه « الثقوب السوداء والأكوان الصغيرة» يجيب على سؤال موجه إليه (هل يوجد إله خالق للكون؟) بقوله «لازلت أعتقد أن الكون له بداية في الزمان الحقيقي في الأنفجار العظيم. ولكن يوجد نوع آخر من الزمان هو الزمان التخيلي (غير الحقيقي) على زاوية قائمة مع الزمان الحقيقي وحيث لا يوجد للكون بداية أو نهاية وهذا يعني أن الطريقة التي بدء بها الكون تحددها قوانين الفيزياء .. وهذا لا يتصل بالسؤال هل يوجد إله أم لا وإن كنت أعتقد أنه غير تحكمي (ARBITRARY) » ومع ذلك يقول الدكتور/ عمرو شريف أن هوكنج بعد أن ترك الباب مواربا لسنوات طويلة أعلن في آخر كتبه « التصميم العظيم».(THE GRAND DESIGN) أنه لم يعد هناك مجال للقول بوجود إله . ولكننا نقول أن ستيفن هوكنج كان يقول قبل أن يتبنى الإلحاد أن التوصل إلى معادلات تفسر وجود الكون(MATHEMATICAL MODEL) لن يفسر كيف إنشاءت هذه المعادلات الكون ولا لماذا وجد حتى ولو توصل العلماء إلى النظرية الجامعة لكل شئي ، فعلينا أن نفكر كيف وجد الكون وهل يحتاج إلى إله؟

(١) وعلى سبيل المثال فإن مفهوم اللا حتمية في فيزياء أو ميكانيكا الكم فالقوانين الفيزيائية التي بعد عنها رياضيا لا تصف الجسيمات تحت الذرية على حقيقتها وإنما هي تبعد عن نظرتنا إلى تلك الجسيمات.

(٢) (THEORY OF EVERYTHING).

الفصل الثاني

الدكتور هوكنج ونظريات الفيزياء

يقول الأستاذ العالم الكبير/ ستيفن هـوكنج أن أي نظريـة فيزيائيـة هـي دائمـاً مؤقتة بمعنى أنها فرض وحسب ولكـن هـوكنج يسـتطرد هنـا ويقـول أن تنبـؤات أينشتاين توافقت مع ما يتم رؤيته عـلى عكـس تنبـؤات نيـوتن والتـي لهـا ميزاتها الكبرى في أن العمل بها أبسط كثيراً من العمل بنظرية إينشـتاين ويقـول هـوكنج في كتابه: واليوم فإن العلماء يوصفون الكون في حدود نظريتين جـزئيتين أساسـيتين، نظرية النسبية العامة وميكانيكا الكم، فهما الإنجازان الثقافيان العظيمـان للنصـف الأول من هذا القرن...

على أنه لسوء الحظ من المعروف أن هاتين النظريتين لا تتوافـق إحـداهما مـع الأخرى فلا يمكن أن تكون كلاهما صحيحة. وإحدى المحاولات الرئيسـية التـي تبذل في الفيزياء اليوم، وهي أيضاً المبحث الرئيسي لهذا الكتـاب[1] هـي البحـث عن نظرية جديدة تدمج النظريتين معا – نظرية كم للجاذبية، وليس لدينا بعد نظرية كهذه وربما كنا لا تزال بعيدين عن الحصول عليها ولكننا نعرف بالفعل مـن قبـل الكثير من الخواص التي ينبغي أن تكون لها.. وسـوف نـرى في الفصـول القادمـة (أي من الكتاب) أننا نعرف من قبل قدرا له اعتباره مـن التنبـؤات التـي ينبغـي أن تضيفها تنبؤات نظرية كم الجاذبية.« أنتهى ويشير هـوكنج إلى أنـه نشـرت في عـام ١٩٠٥ ورقة بحث شهيرة لألبرت انيشتاين الذي كان حتى ذلك الوقت كاتب غير معروف في مكتب سويسري للبراءات وكانـت حـول عـدم ضـرورة فكـرة الأثيـر بأسرها بشرط أن يكون المرء على استعداد لنبذ فكرة الزمان المطلق. وبعدها بعدة أسابيع أبدى هنري بوانكاريه وهو أحد الرياضيين الفرنسيين المبرزين، رأيا مماثلا وكانت حجج اينشتاين أقرب إلى الفيزياء من حجج بوانكاريه الذي كـان ينظـر إلى هذه المشكلة أنها رياضية.. ويستطرد هوكنج أنه عـادة ينسـب الفضـل في النظريـة الجديدة إلى اينشتاين على أن بونكارية يذكر على أن اسمه يرتبط بجزء مهم منها.

(١) كتاب هوكنج «موجز تاريخ الزمن»

ومع ذلك كان هوكنج يقول – في كتابه أيضاً – أن نظرية النسبية تجبرنا بالفعل على أن نغير أفكارنا عن المكان والزمن تغييراً جوهرياً فيجب أن نقبل أن الزمان ليس منفصلا ولا مستقلا على نحو تام عن المكان ولكنه ينضم معه ليشكلا شيئاً يسمى (المكان – الزمان) .. أما نظرية النسبية الخاصة لأينشتاين فيقول هوكنج أن اينشتاين قام بعدة محاولات فاشلة بين أعوام ١٩٠٨ و ١٩١٤ للعثور على نظرية للجاذبية تتوافق مع النسبية الخاصة وأخيراً فإنه في عام ١٩٨٥ اقترح ما تسميه الآن النظرية العامة النسبية.

ويؤسفني كثيراً أيضاً أن يكون مؤلف كتاب «موجز تاريخ الزمن» ربما لا يعلم ما يكفي من معلومات عن الإنسان من غير الانتخاب الطبيعي الذي قال به تشارلز دارون في نظريته عن النشوء والارتقاء لأنه يقول– أي مؤلف الكتاب:-«فإن لنا أن تتوقع أن القدرات لعقلية التي أتاحها لنا الانتخاب الطبيعي ستكون أيضاً صالحة في بحثنا عن نظرية كاملة موحدة لن تؤدي بنا إلى الاستنتاجات الخطأ». أنتهى ولكن وللأسف فإن المؤلفان (للكتاب والنظرية) كانا لا يعلمان الكثير أو ليست لديهما معلومات كافية عن البشر وطور آدم العاقل المتميز بالنفخة الروحية الربانية التي أبرزت العقل وقدراته وطاقاته بعد التسوية وهو الذي خلف غيره ممن سبقوه البشر البدائيين في الأرض .

أما عن القدرات العقلية التي يقول هوكنج أن الانتخاب الطبيعي لشارلز دارون هو الذي أتاحها لنا فإنه قوله يعتبر غير صحيح وخطأ وقع فيه غير المتخصص (هوكنج ودارون) وبين صحته عديد من العلماء المتخصصين في موضوعه الذين كان لهم رأي مخالف ورؤية مختلفة أذكر منهم على سبيل المثال الأستاذ الدكتور ويلدر بنفيل وكتابه (The Mystery of the mind) والدكاترة سير جون إكلز ودانيال روبرتسون وكتابهما (-The wonder of peing human our brain our mind) وهم من أشهر علماء النفس وجراحة المخ والأعصاب في العالم وكذلك فإن الآية ٣٥ من سورة النور في القرآن العظيم تؤكد أن العقل

ليس إفرازًا للمخ كغيره من الأعضاء (الكبد أو البنكرياس مثلا) لأن الآية تخبرنا أن المخ الذي سواه رب العالمين في البشر في طور آدم العاقل يعتبر كالكوكب الذي لا يضيء بذاته وليس كالنجم المضيء بذاته وإنما هو يوقد من شجرة نورية لا شرقية ولا غربية أي شمالية جنوبية هي الكهرومغناطيسية بقطبيها وقد شرحنا ذلك في موضع آخر من الكتاب وحيث توصلت العلوم الحديثة المختصة خاصة في جينات الوراثة التي كان لا يعلم عنها دارون شيئًا إلى إثبات أن المخ والعقل من طبيعتين مختلفتين تمامًا لا يفرز أولهما الثاني وقد خصصنا لهذا الموضوع وحقائقه في القرآن العظيم والعلوم الحديثة كتابًا لنا آخر مستقلاً.

إن أنصار الداروينية الحديثة الذي يبدو أن ستيفن هوكنج واحدا منهم، يعتبرون أن التطور نتاج لقانون الانتخاب الطبيعي ويتجاهلون تماما دور الطفرات الوراثية والخطأ هنا يكمن في أنه إذا لم يكن هناك قدر كاف من التغيرات المفيدة في الشفرة الوراثية فإن الانتخاب الطبيعي لن يجد ما يختاره ومن ثم لن تحدث التغيرات التطورية، أن العلم أثبت ببراهين ترقى إلى مستوى «الحقائق العلمية» عجز العشوائية عن قيادة قاطرة التطور كما اثبت أن التطور – وأن كان قد حصل – فإنه يحتاج إلى تصميم وتوجيه ذكي .. يقول عنه فرانسز كولنز (رئيس مشروع الجينوم البشري): «من الذي يحجر على الاله في أن يستخدم آلية التطور في الخلق» أن الشواهد في أنسب التفسيرات وحتى الآن تشير إلى حصول التطور البيولوجي للجسد المادي للإنسان أما ملكاته العقلية والروحية فقد اثبت العلم أنها «انبثاق» بمعنى التسوية في الخلق والتعديل فيه كما يقول القرآن العظيم، لا ظهور جديد تماما على عالم الأحياء وليست تطورا تدريجياً عن القدرات العقلية للرئيسيات، وهو استنتاج قال به في الماضي عالم البيولوجيا الفرد والاس المعاصر والنظير لتشارلز دارون، وأرجعه إلى العطاء الرباني المباشر، وكما يقول القرآن العظيم. أما عن تحول الأنواع فإن أنصار دارون لم يذكروا حيوان واحد تحول من نوع إلى نوع

بفعل الانتخاب الطبيعي أو تتنازع البقاء وبقاء الأصلح - كما أنه تم اكتشاف هياكل آدامية وحيوانية جاوز عمرها حساب دارون بملايين السنين مع وجود أنواع من البكتريا والقشريات والزواحف والقردة لم يمسسها حتى عصرنا هذا أي تطور ولا ارتقت درجة عن حالها في نشوء الأنواع وتطورها بالانتخاب الطبيعي.

أما النفخ من الروح في الإنسان فهو عطاء تميز به الإنسان بالعقل وبكل قدراته وإمكانياته وسطوته وخلف به (آدم) غيره من البشر الذين سبقوه في الأرض ولم يكونوا على مستواه المتميز في التسوية وفي مخه وعقله وقدراته وكانت حياتهم بدائية وهمجية.

الانتخاب الطبيعي[1] :

إن الانتخاب الطبيعي الذي قال به دارون وآمن به الدكتور/ هوكنج يعجز عن تفسير نشأة الكون والحياة ويعجز عن تفسير تطور الكائنات الحية ونشأة العقل والقدرات العقلية والذكاء الإنساني، حيث يسلمنا هذا العجز إلى القول بالقصد والغائية التي يقف وراءها ذكاء مطلق، (أي الإله)، وكان توماس هكسلي عالم الأحياء البريطاني التلميذ الأول لدارون وأشد المتحمسين لنظريته، كان يقول في مناظرة له مع القس ويلفروس في عام ١٨٦٠ «أن هناك عللا أعلى تحكم التطور لم تقترب منها النظرية.. وأن التطور مفهوم علمي فلسفي لا يقترب من الديانات..» وكا هكسلي يرى أن قضية الوجود الإلهي لا يمكن أن تحسم من خلال علم البيولوجيا وأن العلم ببس لديه الأدوات لدراسة الوجود الإلهي ولذلك ينبغي أن لا يلجا إليه الملحدون لإثبات وجهة نظرهم .. ولا المتدينون أيضاً». ويقول جريجوري شاتين عالم الرياضيات والكمبيوتر الأمريكي: «ليست هناك آلية يمكنها أن تولد معلومات تخالف ببنيتها المعلوماتية فالمادة تولد مادة ولا تولد حياة أو عقل».

(١) مقتطفات من كتاب «خرافة الإلحاد» .

هذا وأن العلم لم يثبت ولا أظنه يستطيع أن يثبت عشوائية الطفرات بل هو قد أثبت عجز العشوائية عن تقديم طفرات مفيدة ويعني الانتخاب الطبيعي أن الأنسب والأصلح للحياة يبقى بينما يندثر غير المناسب أي أن الكائنات التي تحتوي على طفرات ضارة فتموت وتندثر وتفني وهي حقيقة سبق أن قال عنها القرآن العظيم ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد:١٧].

والآية تقرر مبدأً قائمًا وقانونًا فاعلاً وسنةً سارية يصفهم العلماء بالانتخاب الطبيعي أو البقاء للأصلح وهو مبدأ وقانون من وضع الإله يتحكم في توجيهه وفي تسيريه وفي تفعيله وهو مبدأ وقانون ليس للعشوائية أو الحظ أو الصدفة أو الطبيعة العمياء أو المادة الصماء إرادة أو أمر فاعل في تسييره وفي تنفيذه وإنما هي أسباب وضعها الله الخالق المدبر تنتج مسبباتها ونتائجها بالكيفية التي يشاءها الله وينفذ ويكون بها قضاءه الحاصل بأمره النافذ والناجز بأسرار (الكلمة الكنتية) «كن فيكون» وذلك بأسلوب التطور الموجه منه سبحانه وتعالى وتطويره الإلهي للمخلوقات . وقد أثبت السير جوزيف هوكر عالم النبات البريطاني الشهير (١٨١٧-١٩١١) أن الانتخاب الطبيعي محدود الدور وغير خلاق وأن دور الطفرات في التطور يفوق دوره بكثير إذ لولا الطفرات ما كان للانتخاب الطبيعي أن يعمل وهذا ما هو صار يعرف بحجة هوكر (Hooker's Argyment).

وكما يقول الأستاذ جلاد ستون عضو مجمع العلوم الملكي في بريطانيا : «إننا نحن المسيحيون من رجال العلم ندين بأن مذهب دارون عن بقاء الأنسب لا يبطل فكرة التدبير الإلهي أو فكرة النظام المقصود بل يؤكد هذه الفكرة ويمهد لنا سبيل النظر إلى الوسائل إلى اختارتها العناية الإلهية لتدبير مقاصدها منذ القدم فنرى أنها نتيجة قانون منتظم وليس مجرد سلسلة من المفاجئات المتفرقة».

حقائق غائبة

وأحب أن أقول وأبين:

١ - أن ما اكتشفه أينشتاين عن السرعات العالية ليس إلا جزيئية ضئيلة جداً مما تحدث به القرآن العظيم عن السرعات العالية والزمان والتي نورد هنا على حد فهمنا - أمثلة منها فقط على النحو التالي:

(١) السرعة التي تم بها نقل عرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين حيث يقيم النبي سليمان، وهي سرعة تختلف بين قدرات عفريت من الجن (قبل أن تقوم من مقامك) وقدرات الذي عنده علم من الكتاب ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ كما يخبرنا القرآن العظيم.

(٢) السرعة التي يتحقق بها أمر الله تعالى والتي عبر عنها القرآن العظيم في قوله ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر:٥٠] ويكون ذلك بالنسبة ليوم القيامة أيضاً كما في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل:٧٧].

(٣) الحالة أو الواقع أو الوضع الذي يقترن أو يتخذ أو يتزامن فيه (الماضي) مع (الحاضر) في نفس الوقت الواحد أو اللحظة الواحدة وذلك يوم القيامة عندما يجد الناس ما عملوا في الماضي حاضراً كما يقول القرآن العظيم ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

(٤) إختلاف (التقدير) الزمني بين المخلوق وبين الخالق والذي عبر عنه القرآن الكريم بالنسبة لتقدير الزمن المتعلق بيوم القيامة وحدوثه في قوله ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦-٧] والبعد والقرب هنا متعلق بإختلاف التقدير الزمني بين المخلوق والخالق بالنسبة لمجيء يوم القيامة المنتظر.

(٥) إختلاف الزمن الذي تحدثت عنه آيات سورة الكهف بالنسبة لأهل

الكهف والذين هم خارج الكهف بين ثلاثمائة سنين أزدادوا تسعا (الحساب الشمسي والقمري) للمقيمن في الأرض خارج الكهف وبين يوما أو بعض يوم للمقيمن في الكهف وهم أهل الكهف.

(٦) الحساب الزمني بين الحياة والموت بالنسبة للإنسان والذي عبر عنه القرآن العظيم فيما جاء في آيات الذي مر على القرية – وهي بيت المقدس – فأماته الله مائة عام ثم بعثه وقال بعد بعثه أنه لبث يوماً أو بعض يوم . ونفس الإختلاف الزمني يحصل للإنسان بين حالة النوم وحالة اليقظة.

(٧) تلاشي الزمان تماما وأنعدام البعد الزمني في الحياة الآخرة بالنسبة للإنسان الذي تتسم حياته آنذاك بالخلود حيث لا قبل (ماض) ولا بعد (مستقبل) وإنما واقع (حاضر) دائم ومستمر لا ينتهي وفقاً لإرادة الله وما قدره أبدا وأزلا وقضاه بالنسبة للحياة في الأخرة في نعيم الجنة أو عذاب النار، والقدر هو الكتاب المكتوب والمسجل فيه ما كان وما يكون وما سيكون من عمل كل إنسان مما قدم أو أخر وأيضاً من تحقق كل الأحداث.

(٨) تلاشي الزمن وانعدام البعد الزمني في حياة (البرزخ) التي يتساوى فيها الإنسان الذي انتقل إلى البرزخ من آلاف السنين أو أكثر مع الإنسان الذي أنتقل إلى البرزخ حديثاً أو سينقل إليه قريباً في أي وقت مستقبلاً.

(٩) اتصال الروح بالجسد عند الإنسان في اليقظة وبما يتولد عنه العقل يجعل للإنسان إحساساً معيناً بالزمان فيما يعرف بالماضي والحاضر والمستقبل. ولكن حساب الزمان بالنسبة للإنسان أثناء النوم له أبعاد أخرى غير أبعاد اليقظة حيث يوجد الفارق بين (الوفاة) سواء في الموت أو النوم وبين (الحياة) القائمة. ومن هنا فإذا كان الفتية أهل الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين (وازدادوا تسعا بالحساب القمري) بالنسبة للإنسان المستيقظ في واقع الحياة فإن أهل الكهف

النائمين قدروا نفس هذه المدة بيوم أو بعض يوم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وبما يعنيه ذلك أن أحساس أو إدراك أو حساب الزمان للإنسان في اليقظة غيره في النوم، والإنسان هو الإنسان، والوفاة هي الحالة التي يقول عنها القرآن العظيم ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر:٤٢].

(١٠) السرعة التي تم بها الإسراء والمعراج وتأثيرها على الزمن الذي استغرقته الواقعتان المعجزتان حسب ما جاء في أحاديث النبي الصحيحة والموثقة والتي أشارت إلى البراق (سرعة البرق أي الضوء) وإلى عودة النبي إلى مكة بعد الواقعتين وفراشة ما زال دافئاً بما يعنيه ذلك من قصر الزمن الذي استغرقته الواقعتان وبالتالي السرعة والكيفية التي تما وحصلا بها[1].

هذا وقد تحدثت آيات القرآن العظيم عن الزمن الذي خلاله خلق هذا الكون فذكرت مدة (ستة) ايام ومدة (ثمانية) أيام وتناولت اليوم عند رب العالمين وما يساويه من السنوات التي يعدها الإنسان في الأرض من مجموعتنا الشمسية (بحساباتنا الشمسية أو القمرية) كما تحدثت الآيات عن اليوم عند الملائكة والروح ومقداره الذي ذكرت الآيات أنه يساوي خمسين ألف سنة لأن الملائكة والروح خلق النور فيكون عروجهم نوري ضوئي أي مقدَّراً بسرعة الضوء أو بما يزيد عنها...إلخ.

وكل هذه الأمور في آيات القرآن العظيم تشير إلى الاختلاف في الزمان وعده وقياساته وحساباته وإحصاءاته وتقديراته من جانب المخلوقات في الكون وموقعها فيه بما يعنيه ذلك من أنه لا يوجد حساب زمني واحد يخضع له الكون كله وإنما يختلف الزمان وحسابه من منطقة فيه لأخرى. فهناك أزمنة متعددة بتعدد

(١) وقد أفردنا لهما كتابا مستقلاً. بعنوان «إسراء النبي محمد» لم يتم نشره بعد.

الظواهر وصفاتها الفيزيائية ولابد لنا من الاعتماد على الأجهزة بالغة التطور والتقدم وعلى التقنيات الجديدة التي يتوصل بها العلماء للقياس الزمني وأهمها علم وعالم الفيمتو الذي فتح الباب لعلوم كيميائية متسعة وتطبيقات واسعة المدى في هذا المجال، ويكون الرقم ستة أو ثمانية الذي أشار إليه القرآن العظيم بالنسبة لخلق الكون أو السماوات والأرض ليس مقصود به الرقم نفسه ومقداره وإنما يكون المقصود من ذكره في الآيات القرآنية تقرير حقيقة أكبر وأوسع وأشمل هي حقيقة (البعد الزمني) الذي يخضع له هذا الكون ونعيش في إساره وهو الذي أثبت العلماء في حينه أنه البعد الرابع في هذا الكون (أينشتاين).

كما وأن آيات القرآن العظيم تشير إلى الحقائق التالية بالنسبة للزمان:-

(١) لايوجد في الكون ككل مقياس زمني واحد ينطبق عليه بالتساوي أين كان الراصد أو الذي يعد ويحصى ويحدد الزمان ويقيسه.

(٢) أن الزمان إذا قسناه أو حددناه باليوم فإن هذا القياس أو التحديد يختلف من مكان وواقع إلى مكان وواقع أخر أي من مجرة إلى أخرى أو من مجموعة نجمية إلى أخرى أو حتى في نفس المجموعة (كمجموعتنا الشمسية مثلا) من كوكب إلى كوكب أخر فيها.

(٣) أن تباين الرقم من (٦) إلى (٨) يشير إلى الاختلاف في القياس أو التحديد الزمني حسب ما ذكرناه في (١و٢) ويعني بالتالي حقيقة أخرى ثانية ليست رقمية وإنما يشير إلى الزمان (كبعد) ترتبط به السماوات والأرض أي الكون وقد بدا ونشا مع خلق الكون نفسه ونشأته الذي خلقه الله سبحانه وتعالى.

(٤) كما يختلف قياس أو عد أو تحديد الزمان مع اختلاف العوالم وكائناتها المادية العضوية أو العوالم وكائناتها الروحية النورية (الإنسان والملائكة والروح) فيما يبينه القرآن العظيم من اختلاف قياس أو تحديد (اليوم) بينهما في (العروج)

وهو السير بمنحى أو الرفعة في المقام والقدرات بين قياسنا وتحديدنا لليوم (وهو الزمن) بالأربعة والعشرين ساعة أو بين قياساتهم وتحديدهم لليوم بالخمسين ألف سنة في إشارة إلى الزمان في حسابه بالسنوات الضوئية النورية لأن الملائكة والروح من خلق النور.

هذا وكان أينشتاين يرى أنه ليس هناك زمان ومكان منفصلان وإنما هناك (زمكان) وهو كمية متصلة (CONTINICM) وبحيث الحوادث التي تبرز لنا ليست (آنية) ولكنها موجودة في الكمية المتصلة للزمكان وأن الماضي والحاضر والمستقبل متواجد وربما يفسر ذلك سراً من أسرار ما يقوله القرآن العظيم عن يوم القيامة ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦-٧] أو ما يقوله ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف:٤٩]، حيث يبدو الماضي متحداً مع الحاضر ومجموعة الأحداث في كتاب أو سجل هو المخ الذي أحصى كل صغيرة وكبيرة من أعمال الإنسان في الدنيا ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]. ولنا في هذه الجزئية كتاباً مستقلاً.

الزمان الروحي

هناك حالة للروح الإنساني العاقل غير حالها عند الإنسان في الحياة الدنيا سواء في اليقظة أو في النوم أو من خلال الاتصال بالحس، وتلك هي حالة البرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة، حيث تعيش الروح في عالم غير العالم الذي نعرفه ونعايشه في حياتنا الدنيوية، ويكون فيه الزمان مختلفاً ولا ندرك عندئذ حقيقة أبعاده. كما أن الكائنات الروحية الصرفة - وهي نورية - كالملائكة والروح لأنه عندما تحدث القرآن العظيم عن عالم الأرواح في معراجها جعل فوارق في الزمان ذات أبعاد وقياسات ونسب مغايرة عما نقيسه أو نحسبه في دنيانا في الوضع

الطبيعي العادي لنا فالنسبة في عالم الأرواح هي واحد إلى خمسين الف سنة في عروجها فيقول ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج:٤]. وكلمة (إليه) في الآية لا تعني المكان وإنما تعني المقام أي أن الملائكة والروح تظل تعرج إلى الله لبلوغ تقدير مقامه أو الاقتراب المعنوي منه فتظل تسير عبر هذه المسافات الهائلة الشاسعة في الكون دون ان تبلغ المقام الإلهي أو تقترب منه.

والملائكة والروح كائنات نورية أي مخلوقة من نور وتملك من الطاقة ما يمكنها أن تقطع في عروجها (العروج هو السير بمنحي) مسافات شاسعة لا يمكن حسابها بحسابنا الأرضي الذي لا يسعفنا في بيان ابعاد العروج أو حركة سير أو سرعة انتقال هذه الكائنات الروحية فإذا علمنا أن الضوء (النور) يسير بسرعة ٣٠٠.٠٠٠كجم/ ث تقريباً فإن المسافة تكاد تقرب من عشرة مليون مليون كيلو متر وهوما يعرف بالسنة الضوئية. ومن هنا فلو أردنا أن نعرف بالتقريب المسافة التي تقطعها الملائكة والروح مع أخذ سرعة الضوء كمقياس بالنسبة لها – فإنه يتوجب علينا أن نضرب الرقم (١٠) مليون مليون كيلو متر × خمسين الف سنة لتكون النتيجة هي المسافة التي تقطعها الملائكة والروح في سيرها (عروجها) وهي خمسمائة ألف مليون كيلو متر أي الرقم خمسة وعن يمينه سبعة عشر صفرا.

هذه المسافة بحسابنا الكوني تقطعها الملائكة والروح في اليوم الواحد بمقياس العالم الروحي النوري فيما يمكننا أن نوصفه بالزمان الروحي أي القياس الزمني بالنسبة للكائنات الروحية.

ولذلك فإذا افترضنا أن الخمسين الف سنة التي تحدث عنها القرآن العظيم بالنسبة للملائكة والروح هي من السنوات الضوئية لأن الملائكة والروح كائنات نورية وهو الأقرب إلى الحق والحقيقة الفعلية وإذا علمنا أن الضوء يقطع في سنة واحدة (١٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠) كليومتر لكان معنى ذلك أن المسافة التي

تقطعها الملائكة والروح هي نتيجة حاصل ضرب ٥٠.٠٠٠ × ١٠ مليون مليون كيلومتر وهي المسافة التي تبلغ ٥٠٠ وعن يمينها خمسة عشر صفرا كيلو متر، والرابط بين المسافة والزمان هو السرعة.. فالسرعة إذن هي المقصودة باعتبارها العنصر أو العامل الرابط بين الزمن والمسافة (وهي كيلو متر ثانية) مع ترجمة الأثنين إلى مسافة، وسرعة الضوء (النور) هذه هي كما اثبت اينشتاين في النسبية ثابتة في الكون كله بصرف النظر عن مكان المراقب فهي لا تتغير عندئذ لاعتبارات المراقب، إن حساب الزمان يختلف في الكون نتيجة عوامل مختلفة عند القياس وقد علمنا توقف الزمان تماما وانعدام الرؤية نتيجة قوة جذب تماثل سرعة الضوء في مناطق تعرف بالثقوب السوداء، وحيث لا يخرج أي ضوء إلى خارجها حيث تصل قوة الجذب (الجاذبية) للداخل إلى سرعة تعادل سرعة الضوء نفسه فلا يرى من الخارج ما يحدث داخل الثقب ولذلك يسمى بالثقب الأسود أي المظلم، وأن كان ستيفن هوكنج سيقول لنا غير ذلك عن الثقوب السوداء في كتابه «موجز تاريخ الزمن».

والعروج الملائكي والروحي الذي نتحدث عنه يتم في عالم مغاير تماماً من حيث الفضاء – الزمان المكان لطبيعة الفضاء – الزمان المكان المعروفة لنا في وضعنا في واقعنا . و الخلاصة هي أنه هناك زمان يتصل بالروح وقدراتها وفي وعيها وإدراكها الزائد على الحواس عند الإنسان وهو ما يسمى (الزمان الروحي) وقد علمنا من النسبية وميكانيكا الكم تأثيرات السرعة العالية في المادة وفي قياس زمان حركتها ولكننا لازلنا في بدايات الطريق بالنسبة لتأثيرات العقل أو الفكر المجرد على حبيبات المادة الذرية وكذلك تأثيرات العوالم الروحية الصرفة النورية، على حبيبات المادة الذرية المكهرية وبالتالي سرعات حركاتها ومقاييس الزمان فيها. وتأثير العقل أو الفكر المجرد على المادة هو ما يعرف (Psychokinetic) وهو يفسر لنا ما ذكره القرآن العظيم عن واقعة نقل عرش الملكة بلقيس من اليمن إلى فلسطين، وهي المسافة في الزمن الذي عبر عنه عفريت من الجن ﴿قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ وعبر عنه الَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ وهو

الزمن، ويمكن الفهم من تواصل المسافة والزمن، فهم ومعرفة سرعة الحركة.. وعلى أساس معادلة أينشتاين (الطاقة = الكتلة مضروبة في مربع سرعة الضوء) ($E = MC^2$).

أما عن الطاقة الروحية أو النورية فمازال علمنا بها قليل في حده الحالي لا يعرف مدى تأثيرها على المادة الذرية وحبيباتها. وفي واقعة نقل عرش بلقيس يتحدث القرآن عن نوعين من القدرات التأثيرية من حيث السرعة والزمان، قدرة عفريت من الجن التي تعكس زمنا معيناً وسرعة معينة وقدرة الذي عنده علم من الكتاب التي تعكس زمانا أقل وسرعة أكبر أو أعلى.

والزمان في الحالات الثلاث التي ذكرها القرآن العظيم وشرحناها في كتابنا ليس زمانا تخيلياً من خيالنا وإنما هو زمان حقيقي وواقعي وان كنا يصعب علينا تحديد أو معرفة قياساته في حالة نقل عرش بلقيس والفارق الزمني خلاله في عالمنا الطبيعي وقوانينه الفيزيائية بينما يستحيل علينا معرفة قياساته في حالة حركة الملائكة والروح وهو الزمان الروحي الذي نتحدث عنه والذي تختلف فيه قياسات الزمان في عالمها وطبيعتها وقدراتها فيها والتي لا نعلم ولا يعلم العلماء عنها ما يفسرها أو يحددها أو يصف كنهها وطبيعتها وماهيتها في الحركة والسرعة والزمان الخاص بها.

وإن اختلاف القياسات والنظم الفيزيقية المغلقة وبالتالي الحقائق في العالم الفيزيقي تجعلنا نتفهم وجود المتغيرات الحسابية أيضًا بالنسبة للقدرات العقلية المجردة أي الزائدة على الحواس (E.S.P) أي الروحية المغايرة للمقاييس الفيزيائية المتصلة بالمادة والطاقة حيث أن الروح كائن مستمر الوجود في القبل والبعد والآن لا تفني ولا تموت والتي تموت هي النفس كما يخبرنا القرآن العظيم ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء:٣٥]..

الإحساس بالزمان :

الزمان له اتصال بالإحساس، كما أنه يتأثر بالحالة النفسية للإنسان، ومباحث الزمان تتعدد وتشمل مجالات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال، الزمان بالنسبة للكون والزمان بالنسبة للإنسان والزمان البيولوجي والزمان الحسابي والفضاء زمن والزمان الروحي، وزمان الكائنات الروحية أو النورية.إلخ. كما أن الزمان مرتبط عند الإنسان بنشاط المخ الذي ينتج عنه الوعي العقلي عند إتصاله بالروح والوعي الروحي التابع من النفخة الربانية. (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) والإحساس بالزمان متصل بتحقق الأحداث في الوجود الطبيعي. وتحقق الأحداث مع تغير الموجودات والكائنات وخاصة الكائن الإنساني، هو الذي يبرز هذا الإحساس بالزمان بما نستشعره ونقيسه ونحسبه ونحصيه ونعده، من الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك كله عن طريق الحواس لدينا. فالزمان وقياسه متصل بالحواس التي يمكنها بالعقل أن تقيس وتعد وتحصى وتحسب وتتصور في إطار الماضي والحاضر ءالمستقبل كما ذكرنا. ومن هنا فإن العقل العامل في وعيه خارج الحواس،(E.S.P.)وهو الوعي النابع من قدرات نفخة الروح الربانية، يمكنه أن يتخطى حجاب وحدود الزمان بصورتهما التي تدركها الحواس من الماضي والحاضر والمستقبل، خاصة وأن «الحركة» المادية تختلف عن «الحركة» الروحية وقياساتهما وحساباتهما مختلفتان بالضرورة نتيجة اختلاف طبيعة كل منهما. ولما كان الإحساس في اليقظة غيره في النوم وغيره في الموت، فإن حساب أو قياس الزمان والشعور بالمكان، يختلفان بحسب هذه الحالات الثلاث، بالضبط كما يختلف الزمان باختلاف الحركة والسرعة. وهذه كلها أمور مرتبطة بالإحساس بالحركة في نسبة إلى الإنسان العاقل المدرك الواعي، وهو جسد وروح. ومن ثم تختلف مقاييس الزمان والمكان بحسب وعي العقل المرتبط بنشاط المخ في الجسد، أو وعي العقل المرتبط بالقلب بالنفخة الروحية في البصيرة والكشف القلبي بالضبط كما تختلف المقاييس بين حالات النوم

والموت واليقظة كما ذكرنا.

والعنصر الأساسي المتصل بهذا المفهوم هو عنصر القياس أو العد أو الحساب أو الإحصاء، وهو العنصر الذي يعطي للزمن وجوده المجرد كما أنه هو العنصر الذي يوجد للزمان تأثيره في حياة الإنسان وترقيه المستمر في المعرفة لما يحيط به في هذا الكون العظيم من العوالم المنظورة أو غير المنظورة. ونحن نؤمن بوجود عالمين، عالم مادي أو فيزيقي تحكمه قوانين علوم الفيزياء والكم والفلك والرياضيات والكونيات..إلخ. وعالم روحاني تحكمه قوانين مغايره تماماً للقوانين التي تدرسها العلوم المادية السالف بيانها. وعلمنا بإزاء القوانين والعلوم الخاصة بالعالم الروحي مازالت في دائرة «القليل»، وإن كانت الدراسات والأبحاث المتخصصة في هذه النواحي الروحية التي تتجاوز الحواس تسير على قدم وساق وتتقدم باستمرار مكتشفة الجديد في قدرات الإنسان الروحية البحتة كما في علم وتجارب الباراسيكولوجي والروحية الحديثة.

وكما تتغير مقاييس الزمان بين المادة والطاقة في العالم الطبيعي المحسوس فإن هذه المقاييس تختلف أيضاً بين الجسد والروح، الأول في العالم الطبيعي المحسوس، والثاني في عالم الأمر الذي هو من الغيب، وإذا كان للروح إدراكها فهي بالتالي لها زمانها ومكانها بمقاييسها غير الجسدية أو المادية. ولما كان مقام الألوهية منزه عن التجسيد والتصوير والروحية والكفؤ بصفة عامة، فإنه لا بد وأن يكون هذا المقام منزه أيضاً عن الزمان والمكان. وعند هذا المقام تنتهي قدرات العقل وطاقات الروح لأن المقام هنا هو في إطار (ليس كمثله شيء) [1] كما أنه مقام يعلو الخلق الكائن – أياً كانت أراء العلماء في البداية الخلقية للكون.

إنه بدون الطاقة والقوى لا يمكن أن يحدث أي شيء في الكون ولا يستطيع أي

(١) الشيء بطبيعته محدود ومتناه والله ليس محدوداً ولا متناهيا، ومن هنا فإن الشيء ليس كمثل الله كما أن الله ليس كمثل الشيء.

شيء أن يعيش أو يتحرك. لقد حاول الكثيرون على مر الزمن تصميم آلات تعمل باستمرار دون مصدر للطاقة، لكن محاولاتهم باءت بالفشل لأن ذلك يستحيل تحقيقه حيث لابد لأي آلة من مصدر طاقة دائم فضلاً عن أن طاقة الدخل في أي آلة هي دائماً أكبر من طاقة خرجها. وكذلك آلة المخ تحتاج دائماً إلى مصدر طاقة دائم – هو الروح – الذي يتصل بآلة المخ عن طريق الوسيط الطاقي الذي هو الكهرباء أو الشجرة المباركة الزيتونة التي ورد ذكرها في سورة (ص) في القرآن العظيم الآية:٧٢، وهو سر نشاط المخ أو عمله المستمر.. والمتصل بالحياة في الخلايا التي تحتاج هي أيضاً إلى مصدر للطاقة دائم هو غالباً (النور) وهو إسم من الأسماء الحسنى وطاقة.

والإنسان – في حالته الطبيعية – لا يستطيع أن يبصر أو يسمع كلامه أو يعلم شيئاً في الظلمات (الفضاء) [1] والقرآن يخبرنا في سورة البقرة في الآية ٢٠ ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ ويقول القرآن في الآية ١٧-١٨ من سورة البقرة كذلك ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

سبق أن ذكرنا أن القرآن العظيم يشير في خلق الكون أحياناً إلى ستة أيام وأحياناً إلى ثمانية أيام، يفسرهما الأستاذ الدكتور/ زغلول النجار في كتابه «تفسير الآيات الكونية في القرآن تفسيراً مختلفاً عن فهمي لأنني أرى ان المقصود بالعدد (٦) والعدد (٨) هو الإشارة في تباين الرقم، إلى (البعد الزمني) المقترن بخلق السماوات والأرض أي بالكون نفسه وكما يقول ستيفن هوكنج في كتابه: «وكما أن المرء لا يستطيع أن يتحدث عن أحداث في الكون دون فكرتي المكان والزمان فإنه يماثل ذلك تماما أنه قد أصبح مما لا معنى له في النسبية العامة أن نتحدث عن

(١) لأن الموجات الصوتية لا تنتقل في الفضاء.

المكان والزمان خارج حدود الكون...»

وهذه النظرة لأنيشتاين تتفق وتتوافق مع حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن (مقام كان) في حديثه «كان الله ولم يكن شيء غيره» قبل خلق الكون الذي رواه الأمام البخاري في صحيحه في باب بدء الخلق. ويقول الدكتور/ هوكنج في كتابه: «وكان من اللازم في العقود التالية (أي لعهد إينشتاين) أن يثور هذا الفهم الجديد للمكان والزمان من نظرتنا للكون ليكون كونا متمددا ديمانيكيا...» فحديث النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه الذي ذكرناه يعني أنه لم يكن زمان ولم يكن مكان ولم يكن شيء مطلقاً إلا (الله) سبحانه وتعالى فيما لا نعرفه أو يعرف عنه أحد شيئاً.. وكما يقول القرآن العظيم هو سبحانه (الأول) بلا بداية أي بلا زمان وأنه سبحانه وتعالى (الآخر) بلا نهاية أي بلا زمان أو بُعد الزمان أو قياس أو حساب. والمحصلة التي نخرج بها هي أن الزمان لم يكن موجوداً عندما كان الكون نفسه غير موجود فالبعد الزمني مقترن بالكون لأن القرآن العظيم يحدثنا عن البعد الزمني في آياته كما ذكرنا من قبل. وما توصل إليه إدوين هابل عام ١٩٢٩ من مشاهدات تدل على تمدد الكون واتساعه هو الذي أتى في النهاية بمسألة بداية الكون ونظرية الانفجار العظيم إلى دنيا العلم كما يقول هوكنج.

والخلاصة

والخلاصة: في مفاهيم من آيات القرآن العظيم نوجزها في المفارقات التالية:-

الآية ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧].

الوحدة = اليوم (٢٤ ساعة)

المكان = الأرض

الزمان النسبي = مما تعدون

الزمان المطلق = عند ربك

النسبة = واحد يوم = ألف سنة = ٣٧٥.٠٠٠ يوم

العروج : الحاسب = الإنسان

الآيــة (١) ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ [السجدة: ٥]

الآيــة (٢) (﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج:٤]

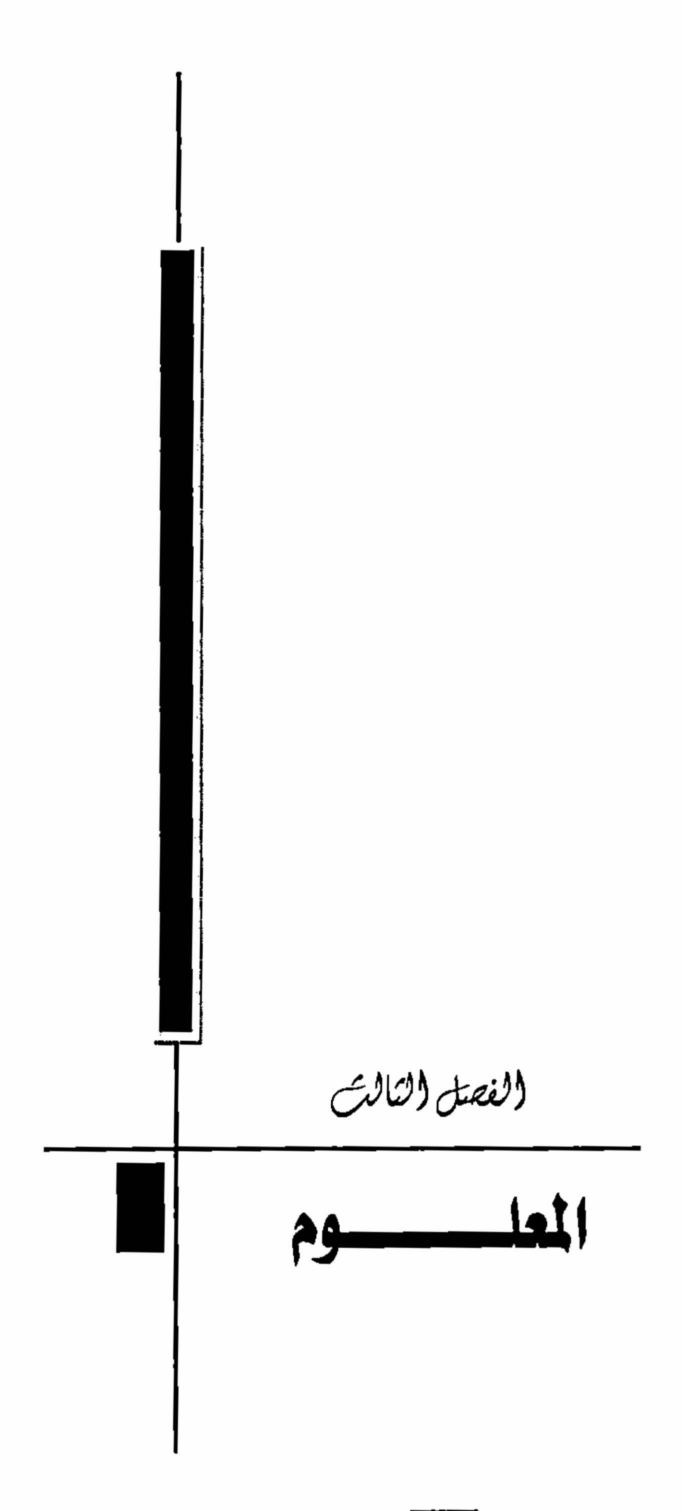
الآية (٣) ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجر :١٤]

الملائكة ولروح كائنات نورية روحية ذكية والحساب الزمني بالنسبة إليها حساب نوري (ضوئي) وليس حساب الإنسان في الأرض.

ولذلك في الآية الثانية فإن اليوم يساوي في زمن مقداره خمسين ألف سنة بالنسبة للإنسان في حسابه وقياسه وعده 'لأرض وبحيث يكون:

اليوم = خمسين ألف سنه ضوئية أي نورية (فظلوا فيه يعرجون).

والآية الأولى تشير إلى النسبة واحد يوم تساوي ألف سنة من نفس الحساب وهو الحساب الأرضي (مما تعدون).



الفصل الثالث

المعلـــــوم

إن كل ما توصل إليه العلماء عبر التاريخ وتتالى الأجيال في الأزمنة والعصور المختلفة ليس إلا داخلا في مفهوم إطار ومحتوى علم الله المحيط بكل شيء وهو قد عبر عنه في كلامه في كتابه الخاتم (القرآن العظيم) الذي لم يفرط الله فيه من شئ في مستوياته المختلفة في القرآن العربي وفي قرآن الحقائق وقرآن العين وفي اللوح المحفوظ وفي الكتاب المكنون وفي أم الكتاب وفي قرآن الذات وكلهم لا يمسهم أي يقترب منهم إلا المطهرون. ويقول الأستاذ الدكتور/ زغلول راغب النجار[1]: «يزخرا القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكون وما به من كائنات (أحياء وجمادات) وإلى صور من نشأتها ومراحل تكوينها وإلى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها.. مما يبلغ بالآيات الكونية (الصريحة والقريبة من الصراحة) إلى سر من آيات القرآن الكريم تقريباً.. والمفسرون المعتدلون لهذه الآيات يرون أنه مع التسليم بان الإشارات الكونية في القرآن الكريم قد وردت في نعرض التذكير بقدرة الله وبديع صفته فإنها تبقى بيانا من الله خالق الكون ومبدع الوجود ومن ثم فهي كلها حق مطلق... ولا غراب إذن من انسجامها مع قوانين الله وسنته في الكون، ومع معطيات العلوم الحديثة عن حقائق هذا الكون .. كذلك فإن المعتدلين من المفسرين يرون أنه مع التسليم بأن تلك الإشارات لم تروقى القرآن الكريم بهدف التبليغ بالحقيقة العليمة لأن الحكمة الالهية قد اقتضت ترك ذلك لاجتهاد الإنسان على مر الزمن، إلا أنها تتميز بالدقة المتناهية في التقييد والثبات في الدلالة والشمول في المعنى بحيث يدرك فيه كل جيل ما يتناسب ومستوياتها الفكرية وما وصلوا إليه من علوم عن الكون وما فيه.. ثم أن تلك الدلالات تتميز كلها بالبعد إلى الحقيقة الكونية قبل أن تدرك الكشوف العلمية شيئا منها بقرون طويلة وهذا في حد ذاته يمثل الأعجاز العلمي في القرآن الكريم الذي هو أحد أوجه الإعجاز العديدة في كتاب الله.. كما يبق من أنسبها لعصر

(١) في كتابة «الآيات الكونية في القرآن الكريم» لناشره مكتبة الشروق الدولية.

التقدم العلمي و لتقني الذي نعيشه لتثبت إيمان المؤمنين ودعوة الجاحدين من مختلف صور المشركين والكافرين والضالين... وطوق النجاة هو في الاعتزاز بالإسلام العظيم والتمسك بالقرآن الكريم الذي يتجلى إعجازه العلمي في عصر العلم الذي نعيشه » .

أن العلوم الحديثة في كافة مجالاتها وموضوعاتها وفروعها وتخصصاتها في عالم الشهادة وعلومه ومعارفه وفي عالم الغيب وعلومه ومعارفه منها ما تميز فيه العلماء وفي تطبيقاته التكنولوجية المفيدة ومنها ما أخفق فيه العلماء ولا يزال علمهم فيه قليل ومعلوماتهم فيه قليلة أو تكاد تكون معدومة.

إن مجهودات العلماء واجتهاداتهم العلمية عبارة عن تفسير وتأويل وملاحظة ووصف للظواهر التي يدرسون وتصرفاتها وحركاتها المؤثرة في واقعها ومجالاته من خلال المراقبة أو التجريب للأشياء وكيف تتصرف أو تؤدي من وظائف ..إلخ. أو المعارف الحسية ثم الرياضيات.

لكن مجهوداتهم لا تصل إلى معرفة كنه أو ماهية أو ذاتية الأشياء ومعلوماتهم تكون أحياناً كثيرة خاضعة لمبدأ (عدم التيقن) الذي تحدث عنه الدكتور/ ستيفن هوكنج في كتابه الذي نعلق عليه (Uncertainty Principle) وهو خاص بالجسيمات والجزئيات ومتناهية الصغر، وكما قلنا فإن العلماء لم يوجدوا أو يخلقوا هذه الأشياء وإنما هي موجودة أي من الموجود فعلا الذي يدل على (الواجد) والمصنوع الذي يدل على (الصانع) وحكمته وعلمه وقدرته وطاقته، في إعجازه وإبداعه وكما له وتدبيره كما يحدثنا القرآن العظيم ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك:١-٤].

أن العلوم الفيزيائية – النظرية والكمية والتطبيقية ذات مقدرات محدودة

فيما يتعلق بتفسير كنه أو ما هية أو ذاتيه العديد من الظواهر والأشياء الموجودة وهذا – على سبيل المثال – ما قرره إدينجتون عام ١٩٢٩ في حديثه عن الذرة، وما يرسون عام ١٩٣١ في حديثه عن جوهر الكائن الواقعي وما حدَّث به أيضاً الفليسوف الألماني إيمانويل كانت (EMANUEL KANT) وهو ما تقرر أيضاً بالنسبة للكهرباء والضوء والجاذبية وغير ذلك وقد تحدث عن ذلك برتراند راسيل في كتابه «النظرة العلمية» (SCIENTIFIC OUTLOOK) ويعترف العلماء حاليا باستحالة الوصول إلى أو تحقيق (الحقيقة العلمية) واقصى ما يمكنهم الوصول إليه أو تحقيقه هو إيجاد أفضل وأقرب وأنسب التفسيرات للظاهرة موضوع البحث والدراسة، وكما يقول الأستاذ / عبد الرازق نوفل أن بعض الناس: (يعتقد أن الإنسان قد وصل بعلمه إلى درجة النهاية أو إلى درجة تكاد تكون قريبة من النهاية لا سيما وأنه لم يقهر الفضاء فحسب بل تمكن من الوقوف على كل ما كان يعد أمراً مجهولاً.. اسرار منظم الأمراض وعلاجها.. وأمكن له أيضاً أن يتابع تطورات خلق الجنين في الرحم.. وأدخل العلم في حياته بحيث توافرت له كل أسباب السعادة. والحقيقة أن العلماء يعترفون أنهم مازالوا في بداية الطريق العلمي وأنهم كلما توغلوا فيه تيقنوا أنهم يبتعدون عن النهاية إذ يتضح لهم من الأسرار والمعميات ما يجعلهم يتأكدون من أنه لا سبيل إلى بلوغ نهاية المعرفة وقد وصل العلماء إلى حقيقة في البحث العلمي وهي أن العلم هو تقدم مطرد ومستمر وأن وسائل العلم كذلك دائماً تتغير بحيث لا تقف عند صورة واحدة، وبذلك فلن تبلغ نهاية تقف عندها وإلا لم تصبح علما.»

يقول الأستاذ الدكتور/ عمرو شريف[1] إن الأدلة التي ظلت تقدمها نشأة الحياة تثبت بشكل (غير مباشر) وجود الذكاء والتصميم والقصد في خلقها، ثم

(١) في كتابه «خرافة الالحاد» الفصل السابع بعنوان (التصميم والتطوير بين الإله والإلحاد) الناشر مكتبة الشروق الدولية.

كانت الثورة المعلوماتية التي أظهرت أن ما في ظاهرة الحياة من معلومات يثبت بشكل (مباشر) ما فيها من ذكاء وقصد وتصميم ومن ثم يشير بشكل مباشر إلى الأله الخالق، وفي كتابه (NEW SCIENTIST) يقول بول ديفيز : «لقد أعتدنا أن ننظر إلى العالم باعتبار أنه يتكون من جزئيات المادة وأن نعتبر المعلومات ظاهرة ثانوية مرتبطة بتلك الجزئيات، وحديثا تبدلت النظرة فصرنا ننظر إلى الوجود باعتباره معلومات جاءت المادة لتجسيدها، ولذلك فبعد أن كنا ننظر إلى الكون باعتباره ظاهرة فيزيائية وإلى الحياة باعتبارها ظاهرة كيميائية صرنا ننظر لكليهما باعتبارهما «ظاهرتين معلومتين».

وقد كان الفيزيائي الكبير جون ميلر (JOHN Archibald Wheeler) (١٩١١-٢٠٠٨م) عالم الفيزياء النظرية الأمريكي الذي أحيا الاهتمام بالنظرية النسبية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، هو أول من طرح عام ١٩٨٩ هذا المفهوم المعلوماتي حين قال «غدا ستتعلم كيف نفهم الفيزياء بلغة المعلومات».

إن المعلومة (موجودة) ومختزنة أو يختزنها الشيء، كل شيء، وتحويها أو تحتويها (الكلمة) في القرآن العربي المكتوب والكون الطبيعي المخلوق كلاهما (كتاب) لله مقروء في القرآن اللغوي العربي الكلمة ومنظور في الكلمة المخلوقة في الطبيعة والوجود الكوني وكلاهما (نور) والمعنى الحقيقي في الأثنين واحد ومتطابق يعلمه رب 'العالمين خالق الوجود والعليم بالقرآن في علمه الكلي الشامل المحيط بكل شيء في كلياته وجزئياته وعمومة وخصوصة ومجمله وتفصيله وعلانيته وخفاياه وظاهره وباطنه ونوره وطاقاته وقواه...إلخ. ويكتشف منه الإنسان العالم بالقدر الذي يشاؤه الله من العلم والمعلومات أو بوسائل تحصيلها. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥] ولا يعني ذلك تطابق العلمان الالهي والإنساني وانما يعني ان ما يتوصل إليه أو يكتشفه العلماء أو يحيطون به داخل

فيما يعلمه الله لا يخرج عنه أو يزيد عليه أو عن محيطه لأنه سبحانه وتعالى (الواسع – العليم) الذي يعلم كل شئ عن أي شئ وعن كل شئ وكل المعلومات مستفادة منه، وكما يقول القرآن ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١] وفي القرآن أيضاً ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإنعام:٥٩] وفي سورة البقرة ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٣١]، وسر الكلمة هو سر الخلق الكائن أي المخلوقات كلها وهي معلومة كلها له سبحانه في علمه الذاتي بسر ما كان وما سيكون وما هو كائن لأن الزمان الماضي والحاضر والمستقبل ليس بُعداً يحد الله أو يخضع له الله سبحانه وتعالى وكما كان يقول الدكتور/ محمد إقبال[1] فإنه لا يمكننا أن نتصور الله في الزمان وإنما يمكن أن نتصور الزمان في الله لأنه الأول الذي ليس قبله شيء والأخر الذي ليس بعده شيء. فالزمان بعد من الأبعاد التي تحكم هذا الكون ويعيش في إطاره الإنسان وفي فهمي فإن البعد الزماني يتصل (بالقدرة) لله وما خلق وكيف خلق ومتى خلق والتي تعبر عنها أو تفسرها (الطاقة) (القدرة) الإلهية سواء (الكامنة/ المختزنة) وهي من تجليات الاسم الإلهي الحسن (الباطن) أو (الطليقة الإيجابية) الفاعلة وهي من تجليات الاسم الإلهي الحسن (الظاهر) حيث أن الله سبحانه وتعالى هو الظاهر والباطن. والقدرة هي الطاقة وهي عند الله غير محدودة وغير محددة وغير متناهية وغير نسبية من خلال كونه سبحانه وتعالى في ألوهيته وربوبيته على كل شيء قدير كما جاء في التوراه والإنجيل وفي الكثير من آيات القرآن العظيم، فالقدرة صفه والقادر والقدير اسمه لا يعجزه شيء ولا يعوق

(١) الفيلسوف والصوفي الباكستاني.

إرادته شيء ولا يحول دون تحقيق أو تحقق أمره شيء وهو ما يفهم من القرآن العظيم الذي يقول ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢]. فإذا كانت المادة / الطاقة/ تتبع المخلوق فالكلمة تتبع الخالق ليكون الوجود في الأصل وجودا معلوماتياً في علم الله وتقديره كتاب (القدر) ثم تجسد بسر كلمة (كن) وهي ليست منطوق كلامي أو لغوي لله الآمر بالتنفيذ في الوجود المادي المحسوس[1] أي أن (المادة) تجسد الوجود المعلوماتي غير المادي، الموجود في علم الله القديم الأزلي والأبدي بكل شيء، كما يقول لنا القرآن وما سبق في الكتب الإلهية (التوراه والإنجيل والزبور..إلخ).

قال الله تعالى في إثبات العلم له سبحانه ولو باخفى الخفيات حتى بما يهجس عل خاطر الإنسان وتوسوس به نفسه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦] وقال تعالى في بيان كمال علمه بدلالة الخلق عليه ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣].

وقال تعالى في بيانه أنه سبحانه عالم بكل شيء في السماء والأرض حتى الحديث الذي يسرد المرء لأخيه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧]. وقال تعالي في ذكر أنه سبحانه عالم بالإنسان في حال كونه جنيناً في بطن أمه وفي حال نشأته (﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢] وقال تعالى في ذكر علمه بكل شيء في الأرض ومياهها والسماء وأجوائها في كل وقت وحين وواقع مظلم ليلا أو مضيء نهاراً في عالمي الغيب والشهادة وبالنسبة للإنسان في وعي الصحو ولا وعي النوم

(١) ولكن لها اسرار ومعاني وحقائق أخرى تم ذكرها في كتاب آخر لنا.

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩-٦٠].

أننا يمكننا فهم وتفهم ما كان يقوله الدكتور الفرنسي (المؤمن) موريس بوكاي[١] (Maurice Bucaille) من أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي ليس فيه أي خطأ علمي أو أي نص لا تتفق العلوم الحديثة معه.. أن مسائل الإيمان يلعب فيها العقل والعلم دورا رئيسياً.

وأن الجذور الأسطورية للمعتقدات الدينية ظلت مؤثرة وقوية حتى بعد إرسال الله تعالى للرسل، وألقت بظلال وغشاوات على نقاء عقائد سماوية موجودة.

مبدأ عدم التيقن

في فصل (مبدأ عدم التيقن) في كتابه يقول العلامة هوكنج من خلال دفاعه عن المبدأ في ميكانيكا الكم وما توصلت إليه من نتائج «ان نظرية أينشتاين للنسبية العامة تحكم فيما يبدو بنية الكون ذات المقاييس الكبيرة، وهي ما يسمى بنظرية كلاسيكية أي أنها لا تأخذ في الحسبان مبدأ (عدم التيقن) لميكانيكا الكم[٢] كما

(١) في كتابه «التوارة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث» الذي ترجم من الفرنسية إلى العربية، وأشرنا إليه فيما سبق في «المدخل للكتاب».

(٢) والمبدأ الذي قال به هيزنبرج وليزي ينطبق على الكائنات المتناهية الصغر فقط لا يمكن أبداً أن يجب تظهر بدقة مكان وسرعة الجزئ (PARTICLE) في نفس الوقت.. فكلما استطعنا قياس أحدهما بدقة كلما تضاءل أنه أمكان قياسنا للأخر، وهو مبدأ لا يصح تطبيقه على الكون وكائناته الكبيرة.. وإلا فإنه سيوصلنا إلى استنتاجات ومعلومات غير صحيحة وغير دقيقة.. ولذلك كان إينشتاين يتعارض تطبيق المبدأ التطبيق الواضح الذي إراد له علماء لكم، لأنه يشير إلى العشوائية أو الصدفة التي لن يؤمن بها إينشتاين.

ينبغي أن تفعل بفرض التوافق مع النظريات الأخرى، والسبب في أن هذا لم يؤدي إلى أي تعارض مع المشاهدة هو أن كل محاولات الجاذبية التي نجدها طبيعياً هي مجالات ضعيفة جداً على أن نظريات المفردة تدل على أن مجال الجاذبية ينبغي أن يصبح قويا جداً في موقفين على الأقل الثقوب السوداء والانفجار الكبير وفي مثل هذه المجالات القوية ينبغي أن تكون تأثيرات ميكانيكا الكم أمرا مهما، وهكذا فبمعنى ما فإن النسبية العامة الكلاسيكية بتنبؤها بنقط ذات كثافة لامتناهية تتنبأ بانهيارها هي نفسها تماماً مثلما تنبأت الميكانيكا الكلاسيكية (أي غير الكمية) بانهيارها باقتراح أن الذرات ينبغي أن تتقلص إلى كثافة لا متناهية. وليست لدينا بعد نظرية متماسكة كاملة توحد النسبية العامة وميكانيكا الكم.. ولكننا نعرف بالفعل عدداً من الملامح التي ينبغي أن تكون فيها .. وسنوصف بعد ذلك النتائج التي ستحدثها هذه الملامح في الثقوب السوداء والانفجار الكبير...».

وقد كان الدكتور/ ستيفن هوكنج تواقاً لمعرفة بداية الكون بهدف وقصد إعطاء الثقة التامة والكاملة للفيزياء وفيزياء الكم وقوانينهما وحدها دون حاجة إلى وجود (خالق) ومناقشة هذا الأمر عن طريق اقتراحه ضم النسبية العامة إلى ميكانيكا الكم بحيث يصل في النهاية إلى (جاذبية الكم) أو إلى نظرية توحيد القوى التي يعتبرها نظرية كل شيء.. (THEORY OF EVERY THING).

أما نظرية (الوتر) ففيها مشاكل وصعوبات كثيرة يجب حلها قبل إمكان المناداة بها كالنظرية النهائية الموحدة للفيزياء (توحيد الفيزياء).. وإن كان مصيرها كما يقول ستيفين هوكنج في ذلك يمكن أن يتحدد خلال السنوات القليلة القادمة.. لنعرف هل يمكن حقا أن توجد مثل هذه النظرية الموحدة أم أننا كما يقول « نطارد سرابا » وهل من المقطوع به أن النظرية ستكون صحيحة وأن نتائجها ستكون صحيحة؟».

وعندي أنه من غير المستبعد أن تكون القوى الأربعة التي يتكون منها البنيان

الكوني مرتبطة فيما بينها وتعكس قوة واحدة تربطها كلها أي بحيث تعتبر هذه القوى الأربعة مظاهر متعددة لحقيقتها الواحدة.. وإنه وإن كان علماء الفيزياء والرياضيات وفيزياء الكم – ومن أبرزهم ستيفن هوكنج – يحلمون بتحقيق نظرية توحيد القوى كما ذكرنا ونقلناه عن هوكنج ، فإننا نتوقع أن يجيء اليوم الذي يتحقق فيه هذا الذي يرجوه العلماء حيث أن وحدة القوى الأربعة سيعكس بدوره حقيقة (لا إله إلا الله) الواحد الأحد الذي نؤمن به ونعبده وبحيث تكون هذه القوة الواحدة المخلوقة إنعكاس للقوة الواحدة الخالقة أي ليكون المخلوق انعكاسا للقدرتها على الخلق والإيجاد بتجليها في تأثيراتها الإيجابية الدائمة، مخلوق وخالق..

ولا أعلم السبب في إصرار البروفسور هوكنج على التوسع في تطبيقات نظرية أو مبدأ (عدم التيقن)؟ أن فيرنر هيز بنرج الذي صاغ النظرية في عام ١٩٢٩ كان يتعامل مع الحبيبات المتناهية الصغر ولم يستطع لا هو في وقته ولا غيره من العلماء في وقته وحتى وقتنا الحالي من خلال التقنيات والوسائل التكنولوجية المتاحة وكل الإمكانات المتوفرة ، لم يستطيعوا أن يحددوا بنفس الدقة مكان وسرعة الحبيبات (PARTICLES) في نفس الوقت وهو ما أدى بهم إلى تثبيت مبدا عدم التيقن (UNCERTAINTY PRINCIPLE). أن المبدأ ينطبق حالياً على ملاحظة لجزئية محددة خاصة بالحبيبات أو الجزئيات المتناهية الصغر وهو مبدا قد لا يثبت أو يصح الأخذ به في أزمنة مستقبلية تتطور فيه تقنيات المراقبة والملاحظة والقياس وامكانيات الدقة في التحديد عند العلماء التي توفرها التقنيات والتكنولوجيات المتقدمة. وربما دقة الفيمتو ثانية التي اكتشفها الدكتور/ أحمد زويل. والحقيقة أن مبدأ اللاتحديد الذي قال به هيزنبرج إنما يعكس الضعف البشري في عدم القدرة على تحديد مقياس بعض الكميات أو المقادير الفيزيائية بدقة كافية ولا يعني هذا أن هذه الكميات أو المقادير غير دقيقة في حد ذاتها

والعجز البشري يقترن بأجهزة غير دقيقة ، وأحب أن أقول هنا أن التقويم الزمني الجديد «الفيمتو ثانية» قد فتح أبواب عالم المادة وديناميكياتها لترى الذرات تدور ، وفق هذا المقياس وفي الزمن الحقيقي وليس المتخيل، هو ما لم يتناوله الدكتور هوكنج في كتابه بالرغم من أن هذا الفتح العلمي له آثاره العالمية لما فيه من تطوير فيمتوكيمياء الليزر ليكون بالإمكان رصد تطور التفاعلات الكيميائية كما تحدث بالفعل في زمن حقيقي وما سيكون لذلك من نتائج ومؤثرات العالم الذري والجزيئي وفيزياء الكم وسيفتح في المستقبل القريب ضمن مسيرة تطور العلوم واتساعها وزيادتها بإضافة مستجداتها إلى الصرح العلمي الموجود والقائم وإن كنت لا أعلم ما إذ كانت النتائج والمؤثرات قد اتضحت فعلاً في وقتنا الحالي للعلماء المختصين.

وعلى أي حال فإن مبدأ عدم التيقن لا ينطبق على (الأحداث المستقبلية) في الظواهر الكونية الطبيعية أو الأحداث الإنسانية المتعلقة بحياتنا ووجودنا في الأرض وهي الأحداث التي يتناولها (علم المستقبل) (FUTUR OLOGY) ويتناولها من خلاله العلماء والباحثين بمستقبل الأحداث بالتوقع لحدوثها بصحة ودقة ويقين في الزمان المحسوب والممكن. أن ظاهرة علم المستقبل المتصلة بالتنبؤ المتيقن هي ظاهرة علمية تخضع للدراسة والتحليل والتوقع ولابد فيها من معطيات خاصة بالظاهرة موضوع الدراسة وما يتصل بها من ملابسات وأسباب أو ظواهر أخرى كما أنه لا بد من وجود مدة زمنية محددة أي زمان محدد تتحقق فيها التوقعات المستقبلية للحدث أو الظاهرة الإنسانية أو الطبيعية محل الدراسة وهي فترة زمان غير طويلة وزمانها زمان حقيقي وليس زمان تخيلي كما في ميكانيكا الكم، وذلك حتى يكون التوقع أو التنبؤ دقيقاً وصحيحاً متيقناً.

هذا وأن ظاهرة التنبؤ ليست ظاهرة تخيلية أو تصورية فقط ولكنها ظاهرة علمية وكما يخبرنا علماء النفس فهي إحدى الظواهر المعتبرة من أهداف (التفكر العلمي) يأتي ترتيبها بعد (الفهم) بل هي مبنية على الفهم إذ مؤداها هو تصور

انطباق القانون أو القاعدة العامة في مواقف أخرى غير تلك التي نشأ عنها أساسا وفي حالة صحة التنبؤ الإنساني فإن معنى ذلك أن المعلومات التي أقيم التنبؤ على أساسها صحيحة وبذلك يكون التنبؤ أسلوباً علمياً في التفكير قائماً على أساس علمي محدد. ومثال ذلك فيما يتعلق بقانون الحركة الذي يقول أن كل جسم يتحرك يستمر في حركته ما لم يعوقه عائق ويمكن أن نستنتج منه أو تتنبأ على أساسه أن الأجسام المستديرة المسلك تستمر في حركتها لمسافة أبعد من تلك التي تستمر فيها الأجسام الخشنة وذلك لاختلاف درجة الاحتكاك في الحالتين. ويلاحظ أن الفهم بالإضافة إلى التنبؤ يمكنان الإنسان من الوصول إلى التحكم أي الوصول إلى هدف معين أو نتيجة محددة باستخدام معين للظروف التي تحقق الظاهرة. وهذه القواعد العلمية تعبتر أساساً لدراسة الظاهرتين اللتين وردنا في آياتين من آيات القرآن العظيم كأساس للتنبؤ وهما:-

(١) المشاق التي تقابل أصحاب العقائد والمثل والقيم في خضم السلوك الواقعي في المجتمعات البشرية المتباينة العقائد والنظم والتوجهات والميول وأنماط السلوك.

(٢) ظاهرة الانتصار والهزيمة في الحروب والأسباب المعنوية والمادية للنتجتين واتصالهما بالتركيب الكلي لبنيان الدول. وقد تحدث القرآن العظيم عن ظاهرة التوقع أو التنبؤ في إطار علم مستقبل الأحداث فيما يلي:-

(١) سورة الروم ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم: ١-٥].

(٢) سورة العنكبوت(٢) ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ وتاريخ المسيحية والمسيحيين شاهد على ذلك.

(٣) سورة آل عمران حيث كان لدى عيسى النبي القدرة على الإنباء بما يأكل النسا وما يدخرون في بيوتهم ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

(٤) سورة يوسف في تفسيره للرؤيت (الفتيان في السجن وملك مصر في السبع بقرات). والتوقع أو التنبؤ وهو أحد مظاهر علم المستقبل الذي يشمل أيضاً التخطيط طويل المدى والاسقاط (PROJECTION) وهو يستخدم في الدراسات التي تركز على المدى الزمني القصير لاستخلاص الاتجاهات العامة والعلاقات المأخوذة من متابعة ماضي الظاهرة محل الدراسة واستشراف المستقبل بمعنى الاجتهاد العلمي المدروس الذي يستهدف صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة الخاصة بالمعالم الرئيسية للمجتمع عبر فترة زمنية لا تزيد عادة عن عشرين عاما في الزمان الحقيقي وليس في الزمان التخيلي الذي تفترضه ميكانيكا الكم ويريد منا علماؤها أن نعتقد بوجوده 'المتخيل أو أن نبني على أساسه معلوماتنا الحالية أو المستقبلية عن الكون المتصور أو المتخيل أو المفترض.

وإن ما ذكرته آيات القرآن العظيم عن سعي النبي موسى عليه السلام ورغبته في «التعلم» من العبد الذي أتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علمًا تشير في مفهوم من مفاهيمها إلى (علم المستقبل) مستقبل الأحداث التي كان يعلمها العبد العالم ولم يكن يعلمها' النبي موسى فيما هو فرق بين علم الظاهر وعلم الغيب في قدرهما المتيقن والأخير لم يكن يؤمن به هوكنج.

وعلى ذلك فإذا كان العلامة ستيفن هوكنج/ يقول أنه مع تقدم ميكانيكا الكم فقد وصلنا إلى تبين أن الأحداث هي ما لا يمكن التنبؤ به بدقة كاملة وإنما هناك دائماً درجة من عدم اليقين أو التيقن، فإن الدين (الإسلام – القرآن) يخبرنا ويقدم لنا نماذجاً وحقائقاً لما هو يعتبر تنبؤاً صحيحاً ودقيقاً ليس فيه أي قدر من عدم التيقن ومستبعدا بذلك ونافياً تماما فكرة أو نظرية «عدم التيقن» في الأحداث

المستقبلية في حياة الإنسان وفي التوقعات الطبيعية بحيث أن هذا المبدأ الذي ينادي به علماء ميكانيكا الكم لن يعتبر (قيدا) على قدراتنا على التنبؤ كما أنه لن يكون فاعلاً أو مؤثراً يمنعنا أن نتلقى الحق والحقائق من الوحي الموحي به من رب العالمين بكلامه إلى رسله جميعا كذلك لما أوجاه إلى خاتهم محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن العظيم الذي يقدم ويبين لنا في آياته (الفهم) المكتمل للأحداث في موقعنا من الكون والغائبة في وجودنا نفسه إذا فهمنا الآيات الفهم الصحيح أو بالتأويل الصحيح.. وعند ذلك سنجد في آيات القرآن العظيم الإجابات الشافية والكافية على أنواع ونمط الأسئلة التي كان يسألها هوكنج وغيره والتي ذكرناها فيما سبق من كتابنا. أن الوجود الكوني منضبط بدقة ويمكن (التنبؤ) بظواهر فيه كما حدث مثلاً في اكتشاف كوكب أورانس (URANUS) وبعض عناصر جدول ميندليف .. وهذه القابلية للتنبؤ تمتد من العالم الطبيعي (الفيزيائي) إلى الكائنات الحية وللوجود الكوني والفيزيائي والبيولوجي والإنساني وكانت كلها وراء إيمان إينشتاين بوجود الإله كما أن الغائية والقصد يعتبران بإطنان موجودان لظاهر في الخلق.. ويعبران عن إسمين لله تعالى هما (الظاهر) و (الباطن) وأن حرية الإرادة الإنسانية هي أهم ما يميز نشاطاتنا العقلية الحرة وبما أثبته العلم من خطأ مفهومي (الحتمية البيولوجية) و (الحتمية التربوية) كما وأن (الحتمية الفيزيائية) التي تنطبق على الجسد الإنساني لا تنطبق على العقل الإنساني ونشاطه في إطار (حرية الإرادة) وهو نابع من أسرار عطاء الله بالنفخة الروحية في الإنسان، وقدراتها التي لا يؤمن بها الملحدون من أمثال العالم الكبير والجليل ستيفن هوكنج وغيره، أو لا يريدون أن يؤمنوا بها وبقدراتها وطاقاتها، وهي على الأرجح (نور) من الاسم الإلهي الحسن وطاقاته حيث (النور) لله تعالى في القرآن العظيم اسم وطاقة. ونحن لا زلنا لا نعلم عن أسرار وحقائق (الروح) وماهيتها أو كنهها إلا القليل الذي يكاد يكون معدومًا.

وإذا كان الدكتور/ هوكنج يتوسع في تطبيقات مبدأ أو نظرية «عدم التيقن» لتشمل – عنده – كل شيء حتى اللامتناهي في الكبر كما في سماوات الكون مثلاً فإننا نعلم على وجه التيقن (أي حيث ينتفي تطبيق مبدأ عدم التيقن) إن الشمس مثلاً تأتي من المشرق ولا تأتي من المغرب، وهي حجة لحقيقة تصرف هذا النجم على وجه اليقين وليس على أساس عدم التيقن.. وهي الحجة التي حاج بها إبراهيم النمرود ويقول فيها القرآن العظيم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨]. هذه واحدة...

وبالنسبة للإنسان كمثل آخر فإن (الموت) الذي يلاقيه الإنسان يعتبر معلومة يقينية حقيقة يقينية لا ينطبق عليها مبدأ عدم التيقن أو نظرية عدم التيقن.

وأحب أن أؤكد أن الهندسة الوراثية وهي العلم الذي يبحث في تغيير أو التحكم في الجينات الوراثية للنبات والحيوان ثم الإنسان وذلك بصفة عامة لمنع انتقال أي عيوب أو نقائص موجودة في الجيل الأول (الأصلي) إلى الأجيال التالية وبذلك يمكن الوصول بالسلالات المتولدة عن بعضها البعض إلى السلالة الفائقه أو السلالة السوبر، حيث تجرى دراسات مكثفة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية لتحديد ومعرفة وظائف كل الجينات الموجودة في داخل نواة الخلية البشرية ضمن مشروع (تحديد الجين الإنساني) الذي يقوم بتحديد ورسم الخريطة الجينية للإنسان ووظيفة كل جين، ويتم ذلك عن طريق تغيير مسار خلق قائم بالفعل وليس خلقا جديداً أننى أؤكد أن الهندسة الوراثية وعلمائها لازالوا وسيظلوا غير قادرين على قهر الموت أو تجنيب الإنسان ما يلاقيه أو يذوقه من (الموت) حتى ولو أستطاعوا أن يطيلوا من عمر الإنسان أو إجراء تعديلات أو تغييرات فيه كما يقول القرآن العظيم في ذلك في المستقبل في حوار الشر مع الخير (الشر على لسان ابليس والخير في المنطق الإلهي) ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]، بمعنى أن الإنسان العالم سيتمكن بعلومه أن يتوصل إلى

أحداث تغييرات في خلق الله أي في الإنسان نفسه وفي الحيوان وفي النبات وفي الطيور وفي الحشرات وفي الجماد وفي البيئة والعوامل الطبيعية وسائر ما يشمله تعبير القرآن العظيم (خلق الله) الذي ذكره على لسان أبليس الشر. ولذلك فليس غريبا أو مستغربا أن يطالعنا ستيفن هوكنج وهو واحد من أكبر علماء الفيزياء والكم والرياضيات بقوله: «أن العلماء سيستطيعون في المستقبل غير البعيد أن يحدثوا تغييرات في صناعة الإنسان.. وستكون هذه التغيرات صناعية حقاً أي من فعل الإنسان وليست طبيعية أي ليست من فعل الله.»

أن العلماء سيمكنهم أن يتوصلوا إلى اطالة عمر الإنسان في الحياة الدنيا أو تطوير قدرات ذكاؤه أو التغلب على التشوهات والعوائق الخلقية فيه أو تحسين صورته الخلقية.. إلى غير ذلك من التغييرات التي يمكن أن تحدث عن طريق التحكم في جينات الوراثة ومكوناتها. ولكن سيظل (الموت) هو مصير الإنسان حتى ولو عمر ألف سنة أو أكثر. وفي أي مكان كان داخل كوكبنا وفي محيطه أو خارج كوكبنا ومحيطه كما يقول القرآن العظيم ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:٧٨].

الفصل الرابع

النجـــــوم

ثم نعود إلى النجوم التي تحدث عنها باستفاضة هوكنج في كتابه في الفصل الأول منه (صورتنا عن الكون). وهو وإن كان محقا في أهتمامه بتناول مسألة النجوم إلا أنه كان وأعتقد لايزال لا يعلم الكفاية عما ذكره القرآن عن النجوم ووضعها وأهميتها في البنية الكونية من حيث مواقعها وخواصها وخصائصها وأنواعها وطاقاتها ومآلها..ألخ مما يريد الله لنا أن نعرفه عنها في كل ما ذكرناه وفيما لم نذكره مما يمكن أن يعلمه العلماء عنها.

القرآن والنجم :

فقد أشار القرآن إلى النجم في عدة تقريرات بأوصاف وخصائص معينة كلها تضفي أهمية على هذه الكائنات ذات المصدر الهائل للطاقة ولذلك كانت معرفة خصائص النجوم، أي ما تولده من طاقة وما تولده من ضوء وإشعاعاتها وأحجامها ومسافاتها ومواقعها وحركاتها وألوانها وكتلتها وحرارتها والأجواء المحيطة بها وتركيباتها الداخلية وتطورها وأعمارها وتكوين العناصر الكيميائية فيها ومصائرها النهائية وما يتصل بها من ظواهر مثل الثقوب السوداء، والثقوب الدودية والثقوب الدواره وما يستجد من معلومات بشأنها (BLACK – WORM & SPINNING HOLES) كانت معرفة ذلك كله تشكل أهمية بالنسبة لفهم الاستعمالات المختلفة التي ذكرها القرآن حول النجوم وما أضفاه عليها من أهمية في البنيان الكوني. وأقسم بواقعها ومواقعها في سورة خاصة بها هي سورة النّجم.

كما أشار القرآن إلى أن البشر كانوا في طور من أطوارهم الفكرية، يتجهون بالعبادة إلى هذه الكائنات، وجمع هذه الحقيقة في عبارة جامعة حين قرر : ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت : ٣٧] مشيراً بذلك إلى الحقيقة الكبرى والركيزة الأساسية التي يجب أن يتجه إليها الفكر البشري، وهي حقيقة وجود خالق وراء هذا الكون بكواكبه ونجومه ومجراته وسككه اللبنية .

فقد أستعمل القرآن بالنسبة للنجوم التعبيرات التالية وما تدل عليها من خصائص وحقائق:

١ – النجم الثاقب (أي الذي يصنع ثقباً)

٢ – النجم الهاوي (الذي يضمحل ويموت).

٣ – مواقع النجوم.

٤ – النجوم المطموسة.

٥ – النجوم المتحركة.

٦ – النجوم المنكدرة.

٧ – تكوير الشمس وهي نجم. بما قد يعني برودتها وانطفاء شعلتها وتحولها إلى حالة من التجمد بعد حالتها الغازية.

٨ – النجم الهادي، باعتبار علامات التوجيه في السماء

وقد وصف القرآن العظيم نج الشمس بالسراج المنير ونحن نعرف حالياً في إطار هذا المعنى إن نجم الشمس هو مصدر الطاقة الرئيسي لكوكب الأرض وحياة كافة الأنواع الحية فيه (نبات وحيوان وأنعام وطيور) بما في ذلك الإنسان أي أنا وأنت وهو وهي..إلخ. فضلاً عن الوقد الأحفورية التي توفر الطاقة المختزنة للمجتمعات البشرية الصناعية.

ونحن نعلم الآن أن نجم الشمس يوفر البيئة المناسبة والكمية الصحيحة من الطاقة لتواجد الحياة على الأرض واستمرارها وأن مصدر طاقتها هو تفاعلات الاندماج النووي في قلبها وفي دواخلها.. كما أن العلماء يعلمون الكثير غير ذلك عن نجم الشمس الذي يوجد في كوننا نجوم وشموس أخرى أكبر وأعظم منها في مجرات أخرى، حيث يقسم القرآن العظيم بالنجوم وواقعها ومواقعها ومؤثراتها

الهائلة، فيقول ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ ﴾ [الواقعة :٧٥-٧٦].

وقد جاء في القرآن أيضاً النص التالي :

﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل : ١٦] وهو نص له معنى عميق الدلالة في حقيقة الحاسة البصرية في الإنسان(١). يهتدون تعني يعرفون طريقهم أو يرون طريقهم، والرؤية هنا هي الإبصار، وهو يكون في حقيقة الأمر بالضوء المنبعث من النجم، وهو الذي يؤدي بالعين إلى تحقيق خاصيتها الإبصارية عن طريق المخ بتركيبه المعقد الذي حسب فهمنا هو المقصود بالزجاجة التي هي داخل المشكاة أي الدماغ التي تعتبر هي الغلاف الحافظ للمخ في الإنسان، ثم ما ينتج من تفاعل الكهربية – باعتبارها الشجرة المباركة الزيتونة(٢) – مع الحواس بما فيها حاسة البصر، فيتم الإدراك والوعي والعقل في مستوياته المختلفة، وهو المصباح المضئ الذي يؤقد من الشجرة الكهربية المباركة الزيتونة التي تستمد زيتها من نور الروح وهي الشجرة الموصوفة باللا شرقية واللا غربية بمعنى الشمالية الجنوبية قطباً المغناطيس والتي لم يعرفها العلماء إلا مع جيمز ماكسويل ومعادلاته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كما أ، النص في الآية السابقة يشير إلى عالم النجوم باعتباره واسطة التعرف والاهتداء إلى الحقائق في البنية الكونية في عالمها النجمي الكبير. وقد تحدث القرآن الكريم عن (النجم الثاقب) وعن (النجم الذي يهوي) أي الذي يضمحل ويموت وكلاهما يحدث ظاهرة (الثقب الأسود) وترك المعلومات التفصيلية عنها لاجتهاداتنا واكتشافاتنا العلمية بشأنها وقد اكتشف هوكنج الجديد عنها.

(١) توضح الآية التالية من سورة البقرة العلاقة بين الضوء وبين الإبصار ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧﴾ [البقرة :١٧].

(٢) التي ذكرها القرآن الكريم في الآية (٣٥) من سورة النور.

والمخ في الإنسان هو المسئول عن كل الحواس والمشاعر ويتصل المخ بهذه الحواس عن طريق الأعصاب، فهناك عصب الشم وعصب البصر وهناك الأعصاب المسئولة عن حركة العين وهناك العصب الذي ينقل الإحساس من الوجه والأنفعالات المتمثلة في الضحك والبكاء أو الغضب إلى غير ذلك ونفس هذا العصب مسئول عن حركة قفل العين عند النوم وهناك العصب المسئول عن السمع والعصب المسئول عن الإحسس بالتذوق من الفم وهناك العصب الحائر وهناك العصب الخاص بحركة الكتفين والعصب الخاص باللسان، وهناك أعصاب غدة القلب ولها دور مهم في التفكير والإدراك والسلوك وتوجيه الدماغ أي المخ وتضم غدة القلب أكثر من أرعين ألف خلية عصيبة. والعقل (النابع من نفخة الروح) يعتبر إدراك واعي لا مادي (مصاحب للمخ) لكنه غير (مستمد) من نشاطه الكهروكيميائي. وذلك لأن المادة تولد مادة ولا تولد عقل أو حياة.

وبالنسبة للمشاعر فهناك عن طريق المخ تحكم في الإرسال من الداخل والإستقبال من الخارج وتوجد لمختلف المشاعر كالحب والكره والخوف والإطمئنان إلى غير ذلك توجد مراكز بداخل المخ مسئولة عنها وعن أداة وظيفتها يدعمها القلب بالفقة والعقل .

إن النشاط العقلي وشعورنا الواعي بذاتنا لا يرجع إلى كهرباء وكيمياء المخ التي هي في النهاية أيونات صوديوم وبوتاسيوم في حركة دائبة عبر جدار الخلية العصبية ولا يمكنها أن تنشئ عند الإنسان في نشاطاته خواص من مثل اللغة والنطق وتذوق الجمال والقدرة على التسامي الروحي.

ثم أن أي وكل معلومة يحصل عليها أو يتوصل إليها الإنسان – أي العلماء– فترجع إلى ما يقوله القرآن العظيم عن (نور الله) و (مَثَل) نور الله الذي جاء في الآية (٣٥) من سورة النور والتي تتناول (المخ) و (الجهاز العصبي المركزي) والشبكات العصبية و(العقل) و (الوعي) و(الإدراك) النابعون من (سر الروح) الذي وهبه ومنحه وأعطاه الله للإنسان حين سواه وعدله ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن

رُوحِي ﴾ [الحجر:٢٩]. ومعلوماتنا عنها لا زالت قليلة.

أن وسيلة المعرفة والعلم والتعلم هي العقل وكل الطاقات والأجهزة المتصلة به في أدائه لنشاطه في جسم الإنسان – أي العالم – من كيمائيات وكهربائيات أو غيرها .. وترجع كما يقول لنا القرآن العظيم إلى مثل نور الله ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ كما يقول القرآن العظيم ليكون تسلسل الأمور على النحو التالي:-

الله

نور

السماوات والأرض (الكون)

مثل النور (الإنسان)

المخ (في قلب الإنسان والتواصل مع العمود الفقري والمخيخ والنخاع الشوكي)

العقل (المصباح) الذي يضيء ويوقد من النيورونات المكهربة وتكون الكهرباء هي الشجرة المباركة الزيتونة اللاشرقية واللاغربية أي الشمالية الجنوبية قطباً المغناطيس المتصل بالكهرباء.

وتقول الآية (٣٥) في القرآن العظيم ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾.

وبالنسبة لمثل النور الإلهي الأول الدائم، المضروب للإنسان والذي لا يعقله إلا العالمون كما يخبرنا القرآن العظيم فإن:

المشكاة = الدماغ في بنية الإنسان وجدار هيكله.

المصباح = العقل (أين يكون مصدره)

الزجاجة = المخ الهش (في القلب من الإنسان الدماغ).

الكوكب الدري= فهو لا يضيء بذاته من ذاته وإنما هو كالكوكب يضيء من مصدر طاقي (نوري) آخر. أي أنه لا يفرز العقل تلقائيًا كما يظن البعض.

الشجرة المباركة الزيتونة = الكهرباء (ومجالها المغناطيس الشمالي الجنوبي لا الشرقي ولا الغربي) [1]. أي الكهرومغناطيسية.

المصدر = النور (الاسم الإلهي وطاقته)

وما يعنيه من درجات ومستويات في الطاقة بعضها فوق بعض أي أشد من بعض (نور على نور) كما يقول القرآن العظيم، وكذلك درجات ومستويات في الهداية ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

القرآن ومفارقة التوأم عند أينشتاين TWIN PARADOX

تطرق الدكتور هوكنج في كتابه إلى ما توصل إليه الدكتور أينشتاين في (مفارقة التوأم) ولكن في سطور قليلة عابرة ربما بسبب موضوع كتابه نفسه وحتى لا يطول أو يتناول هذه الجزئية بأكثر مما تناوله بها. ولكن لم يكون مؤلف (موجز تاريخ الزمن) ولا حتى صاحب مفارقة التوأم يعلمان أن القرآن العظيم كان قد تحدث في قصة أهل الكهف في سورة الكهف عن مسائل في الزمان وتأثيرات السرعة الفائقة على تباطؤ الزمن والتغيرات العضوية والبيئية التي تصاحبه، وهو ما بيناه وأوضحناه في كتاب آخر لنا مستقل في هذا الموضوع عن واحد من دروس قصة أهل الكهف في القرآن العظيم التي تتطابق مع دلالاتها في الزمان والحقائق الزمانية مفارقة التوأم التي توصل إليها العالم العبقري ألبرت أينشتاين، ولم أوردها في كتابي هنا حتى لا يتشعب إلى موضوعات لم يذكر الدكتور هوكنج تفاصيلها في كتابه.

---

(١) وهو ما لم يعرفه العلماء إلا في القرن الماضي مع اكتشافات جيمز ماكسويل عن الكهرومغناطيسية.

وعلى أي حال فإن الحقيقة الزمنية المستخلصة من آيات أهل الكهف تدلنا على أن ما يكون خارج المكان لابد أن يكون أيضًا خارج الوقت أو الزمان وهو ما كان بالنسبة لأهل الكهف في «عزلتهم» في الكهف خارج مكان الناس في المجتمع.

ولذلك تحدث القرآن العظيم عن ثلاثمائة سنة شمسية ازدادوا تسعًا بالنسبة للسنوات القمرية وذلك بالنسبة لمن هم خارج الكهف (المراقبون) ويومًا أو بعض يوم بالنسبة لمن هم داخل الكهف أنفسهم في عزلتهم ... إلخ.

بين العالم الذري والعالم النجمي

وأقول وأنا مطمئن إلى قولي أن كل السهام الموجهة من هوكنج إلى إينشتاين – وهي ملاحظة في كتابه – مبنية على أفتراضات وتصورات وأحتمالات وتخيلات غير حقيقية أو واقعية وذلك من منطلق فوارق بين ميكانيكا وفيزياء ونظريات الكم (QUANTUM) وبين النظرية النسبية العامة . (GENERAL THEORY OF RELATIVITY) فالأخيرة التي بلورها أينشتاين تتناول قوة الجاذبية وبنية الكون بالمقياس الكبير أو كما يقول ستيفن هوكنج بمقاييس تتراوح بين عدة أميال فحسب إلى ما يصل إلى مليون مليون مليون مليون (واحد بعده خمسة عشر صفراً) وهو التريليار من الأميال أي حجم الكون القابل للرصد ... بينما هوكنج في ميكانيكا وفيزياء الكم يتناول العوالم الذرية وما هو أصغر منها في مقاييس بالغة الصغر مثل جزء من المليون من البوصة أو أقل – وهاتان النظريتان بمقاييسهما المختلفة لا تتوافق إحداهما مع الأخرى ولذلك كما يقول البروفسور هوكنج في كتابه . « لا يمكن أن تكون كلاهما صحيحة .... »« ولكن أعلق وأقول متسائلا : هل يمكننا أن نوقن بصحة إفتراضات وتصورات وتخيلات ميكانيكا الكم ونظرياتها المفترضة من علمائها ومن البروفسور هوكنج على غير ما هو كائن وحاصل في الواقع الحقيقي ودون يقين في التثبت من إفتراضات لم تثبت بعد حتى الآن بينما النسبية العامة قد ثبتت وأثبتت وبالتجارب صحة الحقائق التي تصولت

إليها ووصفت بها الواقع الحقيقي .

إنه في الوقت الذي يجتهد فيه هوكنج للوصول عن طريق الرياضيات وفيزياء الكم والنظريات الفيزيائية إلى إجابات عن أسئلة مثل لماذا وكيف ومن أين وإلى أين .... إلخ . ظناً منه أن الفيزياء ونظرياتها والبحث المتعمق فيها ومن خلالها يتضمن الإجابات الشافية والكافية والحقيقية والمقنعة علمياً وعقلياً ومنطقيا عن مثل الأسئلة السابقة أو غيرها معها ... نجد علماء آخرون يعلمون ما لا يعلمه الدكتور هوكنج ومن هم مثلة في معتقده ويرون ما لا يراه هو وغيره ويفكرون كما لا يفكرون ويشاهدون ما لا يشاهدون ويعرفون ما لا يعرفون ويؤمنون بما لا يؤمنون به .

فإذا كان الإله الخالق قد منح أو وهب أو أعطى الأنسان قدرة عالية على التفكير والتذكر والتعقل فإننا والعلماء منا والدكتور هوكنج مازلنا لا نعلم كيفية عمل دماغ الإنسان وعقله أثناء قيامه بتلك العمليات المعقدة كما وأن المعارف الإنسانية الحديثة من علوم الإحياء والطب والكيمياء الحيوية والفيزياء الحيوية والوراثة لم تزودنا الإ بمعلومات قليلة جدا عن كيفية عمل دماغ الإنسان والمخ والعقل في اليقظة وفي النوم .

يقول الأستاذ العالم المؤمن الدكتور زغلول راغب النجار[(١)]: « لقد غيرت ميكانيكا الكم مفهومنا عن المادة وجسيمات المادة الدقيقة وهي ليست نقطا هندسية في صفحة الكون ولكن لها ذاتية تمتد في الكون علي هيئة موجات من الطاقة لها محصلة موجبة ونمط ترددي له طول موجه محدد وسرعة تردد محددة وعلى ذلك فلابد من وصف كل جسيم في الكون بهيأتيه الجزيئية والموجبة ويعرف ذلك باسم: (THE DE BROGLIE WAVELENGTH OF A PARTICLE).

ويستطرد الدكتور النجار: «والأحسام الصلبة المتبلورة تترتب الذرات

(١) في كتابه «صور من تسبيح الكائنات لله» الناشر دار النهضة مصر .

والجزئيات فيها في أشكال هندسية محددة لكل عنصر من العناصر أو مركب من المركبات الكيميائية الجزيئية (MOLECULAR BONDS) والروابط الفلزية(METALLIC BONDS) .... فالجسيمات الأولية للمادة تتحرك في داخل الذرة والذرات تتحرك في داخل الجزئ والجزئيات تتحرك في داخل المادة بأشكالها المختلفة الغازية والسائلة والصلبة في داخل أجساد كل الكائنات الجامدة والنباتية والحيوانية والأنسية ... كما تتحرك الكائنات الكبيرة في البنية الكونية في أفلاكها حول مراكز أوسع إلى مركز الكون الذي لا يعلمه إلا الله ... وهذه الحركات بمقاييسها المتناهية في الكبر أو المتناهية في الصغر يصاحبها إنطلاق (الطاقة)... ولا يستطيع العلم تفسير مصدر الطاقة المحركة لكافة تلك الجسيمات والمسببة للأهتزازات والمنتجة لما يميزها من موجات صوتية تعتبر لغة من لغات الجمادات ، وهي خافته لا تستطيع أذن الإنسان التقاطها ولا يمكن للإنسان إدراكها إلا بتوظيف تقنيات متقدمة للغاية ....)) أنتهي .

إن الإنسان لديه ملكة (الإنتقال العقلي عبر الزمن) وهذه الملكة تعني القدرة العقلية على إسترجاع أحداث مضت وكذلك تصور ما يمكن أن يحدث في المستقبل، وهي صفة أو ملكة إنسانية لا تتمتع بها الحيوانات الأخرى وتدخل في إطار التسوية والتعديل الإلهي للإنسان وليس للصدفة أو العشوائية أو الحظ فيها أي دور.

إن هذا المخ المتميز للإنسان عن مخ الحيوان هو الذي صاغ طريقنا في البحث عن المعرفة ولو لم يكن عندنا ذلك العقل الأكثر قوة من أي حيوان (وهو سر من أسرار النفحة الروحية الربانية) كما تقول لنا الأديان السماوية ، وكما يقول لنا القرآن العظيم) لما كنا قد استطعنا أن نصل إلى ما وصلنا إليه من معارف وعلوم وابتكارات واختراعات .

الفصل الخامس

الألوهية بين أينشتاين وهوكنج

لقد كان أينشتاين رافضا لمفهوم الإله كما جاء في التوراة ولكنه لم يكن يعلم شيئاً ولا حتى ما يكفي عن مفهوم الإله كما جاء في القرآن العظيم، وكذلك لم يكن يعرف ما يكفي عن التوحيد في القرآن العظيم ومقاماته ومفاهيمه ومستوياته وأنواعه ودرجاته ولا دقائق الشرك وخفاياه. ونفس الأمر ينطبق على ستيفن هوكنج. فكلاهما ومن مثلهم في المعتقد في الإله قد غابت عنهم حقائق كثيرة جاء بها القرآن العظيم وحدَّث بها علماء من المسلمين فيما ذكروه عن مفهوم الألوهية والربوبية وعلوم التوحيد وعن ما يجوز ولا يجوز في حق الإله وعن شهود وشهادة وفقه ومشاهد التوحيد(١) و(٢).

وخاصة في نفي الجسدية والتجسد للإله سبحانه وتعالى الذي ليس له صورة حتى يقال يوجد شئ على صورته فليس كمثله شئ وهو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. لا يشبه أو يماثل المحدثات وهو القدوس أي المنزه عن كل وصف يدركه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يختلج به الضمير أو يفض به التفكير.

والفرق بين أينشتاين وهوكنج في حق الإله يبدو فيما صرح به الإثنان:- فيقول أينشتاين (GOD DOESNOT PLAY DICE) وذلك يتطابق مع جاء في القرآن العظيم ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الإنبياء : ١٦ – ١٧] بينما يقول هوكنج : (GOD IS AN INVETERATE GAMBLER AND THAT HE THROWS THE DICE ON EVERY POSSIBLE OCCASION) وإذا كان ستيفن هوكنج يتشكك في وجود الإله أو في ضرورة وجوده الفعلي فإن ألبرت إينشتاين كان يقول

(١) وهو بات واقع من العلم جدَّد فيه الإمام محمد ماضي أبوالعزايم في عصرنا المفاهيم والمعلومات والحقائق والمشاهد بما لا يعلمه المعاصرون من المسلمين ومن غير المسلمين من العلماء وغير العلماء .

(٢) أفردنا في التوحيد كتاباً مستقلا بعنوان « الله يتجلى بأسمائه الحسنى وطاقاتها».

عن عقيدته في الإله : « إن ديني يشمل الإعجاب المتواضع بذلك الروح العليا غير المحدودة التي تكشف في ثناياها بعض التفصيلات القليلة التي لا تستطيع عقولنا إدراكها، وهذا الإيمان القلبي العميق هو الذي يدعوني إلى الإعتقاد بوجود قوة حكيمة عليا ستطيع إدراكها خلال ذلك الكون الغامض الذي يلهمني بفكرتي عن وجود الله » أنتهى .

أن المفتونين بعلومهم المادية المعجبين بمعلوماتهم يعتقدون أن الفيزياء وقوانينها (التقليديه الكلاسيكية والحديثة الكمية – النظرية والتطبيقية) هي وحدها اللازمة لفهم الكون الذي نعيش فيه وفهم الكائنات فيه بأنواعها ومنها جنسنا ونوعنا الذكي العاقل .. وهو أعتقاد خاطئ ومنقوص لأن هناك علوم كثيرة أخرى مادية وعلوم روحية أو ميتافيزيقية غير مادية وغير فيزيائية تتضافر كلها مجتمعة لتجيب على كثير من الأسئلة المتعلقة بنشأة الكون ونشأة الحياة والأحياء وخاصة الإنسان والهدف والغاية من الخلق الكوني والإنساني وخلق الأحياء .. لماذا وكيف ومن أين ومتى وإلى أين ... ؟ وهي أسئلة يجيب عنها العلماء المؤمنون بعلمهم الذي يوافق ويتوافق مع هدي الله وهداه في كل الإديان السماوية، ولا يجد العلم وحده أو العلماء الملحدين لها إجابة .

وسنعلم من مختلف العلوم الحديثة أن الأسماء الحسنى والصفات العُلى لله سبحانه وتعالى هي المسئولة عن كافة وكل السمات الوجودية والموجودات الصغيرة والكبيرة وأن ما أنشأ الكون ليس الانفجار العظيم في ذاته الذي يعتبر حدث غير منضبط ويسوده الغموض بينما ما حدث في الإنفجار العظيم فشئ يمكننا أن نطلق عليه (التخطيط العظيم) الذي لا يقدر عليه إلا إله قوي عليم حكيم وقدير. تدل عليهم وعليه وعلى وجوده الواجب سبحانه وتعالى ثلاثة أدلة أو مفاهيم أو براهين هي البرهان الكوني (COSMIC ARGUMENT) وبرهان الضبط الدقيق (FINE TUNING ARGUMENT) والمبدأ البشري (ANTHROPIC PRINCIPLE) ويعلق لسير فريد هويل على المبدأين الثاني

والثالث بقوله : لا شئ هز إلحادي مثل إدراكي أن ليس هناك قوى عمياء في الطبيعة كما يظن الماديون بل إن هناك ذكاءاً علوياً يمتزج بكل من الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا» إننا كلما أزدادت معارفنا مثلاً عن نشأة الكون وبنيته تكشف لنا بشكل أكبر مدى مواءمة هذه النشأة والبنية ومواءمة قوانين الكون الفيزيائية لبزوغ الحياة وظهور الإنسان وكذلك إعداد كوكب الأرض ليكون محلا لظاهرة الحياة ومأوى الإنسان الحي وهو ما يقول فيه القرآن العظيم ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرحمن : ١٠] وهي كوكب متميز ومتفرد في صفاته وفي جيرانه وتابعيته للشمس وفي موقعه المتميز منها وفي مجموعتها فكان بذلك مهيأ وبطبيعته فإنها الأرض وما حوته في أرضها وسمائها وبحارها وأنهارها ومحيطاتها وفي جوفها وفي كل صنوف الطاقات فيها والكائنات الحية فيها من الأنعام والأسماك والطيور وغيرها، جديرة بالإنفراد بظاهرة الحياة وبصفة خاصة حياة الإنسان الحي العاقل .

وقد عرض السير أنتوني فلو الذي تحول في أواخر حياته إلى الإيمان، الصفات التي يجب أن تتوافر في السبب الأول الذي خلق الكون وذكرها في كتابه «يوجد إله» (There is A God) ، وقال أنها لا يمكن أن تتوافر إلا في (إله خالق) يكون :

(١) واجب الوجود (NECESSARY BEING)

(٢) وجوده لا يحتاج إلى سبب (UNCAUSED)

(٣) أزلي أبدي (ETERNAL) .

(٤) غير مادي ولا يحده المكان NON MATERIALISTIC UNLIMITED BY PLACE .

(٥) مطلق القدرة OMNIPOTENT .

(٦) مطلق المعرفة OMNISCENT .

(٧) قادر على اتخاذ القرارات DECISION MAKER .

وكلها صفات لا تتوافر في الطبيعة التي هي مُحصلة الزمان والمكان والمادة والطاقة والقوى وكلها تحتاج في وجودها إلى (موجد) لها تتجلى وتظهر (أحديته) في الوحدة التي تتجلى وتظهر في بنية الكائنات (وحدة النسيج = الخلية الحية = الذرة) كما تتجلى في وظيفة الكائنات وفي كينونة الكائن الحي الذي يشعر ويعرف أنه وحدة واحدة في تكونيه الثنائي الجسدي والروحي (العقلي) وكما يظهر في المخ أو القلب والوعي.

الفصل السادس

سيناريو بداية الكون عن البروفسور هوكنج



والسيناريو الذي قال به الدكتور ستيفن هوكنج في كتبه (١٩٨٨ و٢٠٠٥) هو كما يلي: » في لحظة ما من الماضي (منذ نحو ١٣.٧ بليون سنة ± ٢٠٠ مليون سنة) كان الكون تبعا للحسابات الرياضية – محصوراً في نقطة حجمها صفر أطلق عليها العلماء أسم (المفردة) (SINGULARITY) ثم أعتراها ما نطلق عليه الانفجار الأعظم (BIG BANG) وهذه كانت البداية) ثم يقول ستيفن هوكنج كما كان قبل الانفجار العظيم (إذا كنا نعلم بعض ما حدث منذ الانفجار الأعظم) (وتزداد معرفتنا مع تقدم العلم) فإننا لا نستطيع تحديد ما كان قبل ذلك. إن ظروف ما قبل الأفنجار العظيم لا يجب أن تشكل أي جزء من تصورنا العلمي للكون .... علينا أن نكتفي بأن نقول أن الانفجار الأعظم هو بداية الزمن ، وذلك يعني أن الأسئلة التي تدور حول كيف تهيأت الظروف لهذا الانفجار ليست بالأسئلة التي يتناولها العلم . وبالرغم من وجود العديد من الثغرات والتساؤلات التي لم تجب حتى الآن حول كيف نشأ الكون من هذه المفردة وبالرغم من أن الجديد الذي يكتشفه العلم كل يوم يُغير من التفاصيل وقد يُغير من نظرية الانفجار الأعظم ذاتها ويطرح بديلا عنها فإن هناك أربع حقائق أساسية لا تتغير في سيناريو نشأة الكون حيث قد إعترى الكون الوليد :

- تمدد EXPANSION
- تبرد COOLING
- تكثف CONDENSATION
- تطور EVOLUTION (طاقة ← جسيمات تحت ذرية ← تكوين الذرات)

وكان تشارلز تاونز (عالم الفيزياء الأمريكي الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٤ ومكتشف المازر (MASER) الذي مهَّد لإكتشاف أشعة الليزر) كان يقول: « إن السؤال عن بداية نشأة الكون سيظل دون إجابة علمية ولذلك فإني أعتقد أن هناك وفي ظل عدم معرفتنا بما كان قبل الانفجار العظيم فإننا سنظل في حاجة إلى

التفسيرات الدينية الغيبية لنشأة الكون الذي خلقه الله ». وأنني بالجمع بين أصح التفسيرات العلمية والتفسيرات الدينية (القرآنية ومفاهيمهما، وتمشيا مع ما قاله ويقوله كبار ومشاهير العلماء – ومنهم ستيفن هوكنج – عن عدم معرفتهم بما كان قبل الإنفجار العظيم (BIG BANG) وبداية نشأة الكون .. أطرح فيما يلي رؤيتي الإيمانية في السيناريو التالي لما حصل وكان قبل الانفجار العظيم :

رؤيتي الإيمانية لتسلسل خلق الكون :

أولاً : (قبل الانفجار العظيم)

الذات الإلهية :

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [طه: ١٤] الذات المجهول تمامًا لغير ذاته المدرك لذاته الأحدية وطاقته الكلية واجب الوجود مجهول تمامًا لا يعرف ونكره لا يوصف في عمأ العماء ومجهول لا يحدد ليس في ذاته شيء من غيره وليس في غيره شيء من ذاته ليس في الذات إلا الذات وليس في الخلق إلا الخلق .

الهوية – (هو) الحقيقة الدالة على الإله الأحد (سورة الإخلاص) الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد

الله : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(الكون) [النور: ٣٥] مصدر كل طاقة أصلها ومنبعها ومجمعها وحقيقتها مجهول القدر والماهية في ذاته وأسماءه وصفاته في اللا زمان واللا مكان ليس كمثله شيء في كل شيء ولا يحاط به علمًا . كان منذ الأذل ولم يكن شيء قبله أو معه ويكون للأبد ولا يكون شيء بعده ويظل كائنًا على ما هو عليه كان ويكون لا يتغير .

الأسماء الحسنى

متوحدة في الاسم الأعظم الجامع لها (الله) العَلَم الدال على الذات الإلهية في الإلوهية والربوبية ، وهي محيطة بالكون وكائناته وتتجلى بالقدرة والطاقة المحيطة

الشاملة غير المحددة واللامتناهية وبالإرادة والحكمة والأمر بكن فيكون في كل مخلوق مادي أو لا مادي أو روحي أو طاقي (ناري أو نوري) أو من القوى والمظاهر والشئون في الوجود الكوني بكل ما فيه ومن فيه حي أو غير حي .

ثانيًا : (منذ الانفجار العظيم) وحسب علم العلماء

المفردة (SINGULARITY) .

نقطة واحدة في الوجود لا متناهية في الصغر هي مركز تجميع (طاقة) أو تجمّع طاقة هي كل طاقة الكون منها بدأ خلق الكون بالإنفجار العظيم في مادته وطاقاته وقواه وبدأ الزمان ونشأ المكان وتكون الكون وتكونت الطبيعة بما يمكن أن نصفه (الفتق) بعد (الرتق) وفي المفردة توحَّدت وتجمَّعت قوى الكون الأربعة المعروفة وهي الجاذبية والكهرومغناطيسية والقوى النووية الضعيفة والقوى النووية الشديدة .

الطاقة : القدرة على إتيان عمل أو فعل أو شغل وتتصل بالقوة والمتانة (وهي القوة الشديدة) وبالقوى والطاقات التي خلقها وأوجدها الخالق سبحانه وتعالى بعد أن لم يكن شيء غيره أو معه أو قبله.

جسيمات تحت ذرية: الفوتونات والكواركات والألكترونات والنيوترونات والهجزسوسون وما قد يضاف إليها أو يستجد عليها مستقبلاً .

الذرات: نويات الذرات وذرات الهيدروجين والهيدروجين الثقيل والهليوم .

ثم نشأت المجرات ونشأ الجيل الأول من النجوم وتكوَّنت عناصر الجدول الدوري ثم نشأ الجيل الثاني والثالث من النجوم ومولد المجموعة الشمسية واستقرار كوكب الأرض ثم الخلية والحياة والكائنات الحية وأشباه البشر والبشر ثم آدم البشر العاقل صاحب النفخة الروحية الربانية والعقل المكتمل إلى الإنسان الحديث من بني آدم.

هذا وإن الجدول الذي وضعه العالم الروسي عام ١٨٦٨ (MENDELEV)[١]. يشمل عناصر الطبيعة الأولية مثل الهيدروجين والهيليوم والكلور والذهب، وقد رتبها بناء على وزنها الذري ثم وجد أن هناك أوزان ذرية غير موجودة في الجدول وأماكن فارغة فيه تنبأ معها منيديلفي بوجود هذه الأماكن والفراغات الموجودة، وهو ما حدث بالفعل، ولدى علما في الغرب أيضاً جداول أخرى .

أما «المفردة» (SINGULARITY) اللامتناهية في الصغر فيقول العلماء أنها نقطة حجمها صغير لا نهائية السخونة ولا نهائية الكثافة وذات صفات تعجز قوانين الفيزياء التي تحكم الكون الآن أن تفسر وجودها، وقد توحدت فيها قوى الطبيعة الأربع (وهي قوة الجاذبية والقوة النووية الشدية والقوة النووية الضعيفة والقوة الكهرومغناطيسية) في قوة واحدة تجلى عليها (الله) القوي الواحد الأحد الإله الموجود الواجب الوجود[٢] الذي ليس كمثله شئ في كل شئ (الأسم المفرد العلم الدال على الذات الإلهية والجامع للأسماء الحسنى والصفات العلى كلها في وحدة واحدة) .

تجلى عليها بالأمر والكلمة بالطاقة أي القدرة الكامنة والمخزونة في ألوهيته المجهولة لنا وربوبيته للعالمين فكان الإنفجار العظيم حيث تحولت الطاقة الكامنة في الأسماء الحسنى والمفردة (POTENTIAL ENERGY) إلى طاقة طليقة (KINETIC ENERGY) منهما تكون كل ما هو مخلوق خلقه الإله رب العالمين في هذا الكون الذي هو ملكه وملكوته، أبتداء من الجسيمات تحت الذرية ثم الذرة المكهربة إلى آخر ما كان في الكون حسب تسلسله في تطويره الإلهي المُوجَّه منه سبحانه وتعالى.

وإنه إنطلاقاً من الأصل المشترك لقوى الطبيعة الأربعة المعروفة يحاول العلماء التوصل إلى معادلات مشتركة تجمع بين هذه القوى في قوانين واحدة

(١) إذا رتبت الذرات ترتيب تصاعديا طبقاً لعددها الذري فإنها تكون الجدول الدوري للعناصر .

(٢) واجب الوجود لذاته هو الذي لا يحتاج لسبب غيره أو علة غيره أو لغيره في وجوده وعكسه «ممكن الوجود».

يُسميها علماء الفيزياء النظرية وميكانيكا أو فيزياء الكم (نظرية التوحيد الكبرى) (GRAND UNIFIED THEORY) أو النظرية الجامعة لكل شيء (T.O.E) (THEORY OF EVERYTHING) وقد مات أينشتاين وهو يحلم بالتوصل إلى هذه النظرية ولم يصل إليها ويعمل للوصول إليها حاليا الدكتور / ستيفن هوكنج وغيره من أمثاله من العلماء الفيزيائيين والتي أعتبر هوكنج أن نظرية الأوتار تعتبر خطوة في طريق الوصول إليها.

وكما قلت فيما سبق فأنا شخصياً ومن منطق الإيمان بالله الواحد الأحد. أؤمن أن العلماء لابد سيصلوا إلى هذه النظرية الجامعة للقوى لأنها تعبير حقيقي يثبت (الوحدة) في هذا الوجود الكوني وقوانينه (والوحدة) في نسيجه وبنيانه وبما تعكسه وتثبته هذه الوحدة من أحدية خالقة التي يقول عنها القرآن العظيم في سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ والصمد هو المقصود في الحوائج من كل وكافة الكائنات الإنسانية والمخلوقات الذرية والنجمية وبنيتها في (الطاقة) (ENERGY) النابعة في البدء من الطاقة أي القدرة التي يتصف بها الخالق، الله رب العالمين. وهذا موضوع آخر يحتاج لكتاب آخر[1]. أما إذا تغيرت المعلومات وتغيرت المعارف والعلوم وأتسعت الأكتشافات وزادت المعارف من خلالها عن بداية الكون وبدايات الكائنات والمخلوقات وتغيرت عما نعلمه اليوم فأضافت إليه أو غيرت فيه أو زادت عليه أو تحولت المفاهيم وتباينت التفسيرات وثبت خطاءً ما قلت أنا في رؤيتي الإيمانية في أمر البدايات ، فإن الخطأ يكون خطئي والقصور يكون في شرحي وفهمي ويظل الله سبحانه وتعالى هو الإله الواحد الأحد، الواجب الوجود لذاته[2]، ويظل متسميا بكل أسمائه الجمالية والجلالية والكمالية ومتصفا بكل صفاته العلى ويظل هو سبحانه الخالق البارئ المصور الذي

(١) خصصنا لموضوع الإله والطاقة كتاباً مستقلا بعنوان : « الله يتجلى بأسمائه الحسني وطاقتها» .

(١) واجب الوجود هوليزي لا يحتاج لأحد أو لشئ أو لغيره في وجوده بعكس ممكن الوجود.

أوجد الكون من اللاشئ بعد أن لم يكن شئ[1] ويظل الله سبحانه وتعالى له (الخلق) إظهارًا للماديات أي المظاهر وله (الأمر) إيجازًا للمعنويات في الظهور حيث الخلق هو إيجاد الأشياء من العدم حسب الإرادة والعلم، والأمر هو التدبير والتصرف بالحكمة والذكاء والقصد وكما في الآية ٥٤ من سورة الأعراف في القرآن العظيم ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

ومع الخلق والأمر لله سبحانه وتعالى يكون (الهدي) الإلهي للمخلوقات في نشاطها وأدائها لوظائفها التخصصية نؤمن معه بأن هناك سر مجهول وغيبي لا يدركه ولا يعلمه أحد لاستيفن هوكنج ولا غيره وطاقة عظمى وقوة كبرى وقدرة هائلة وعلم خارق وراء هذا التنظيم الذي نعايشه والموجه لحركاته ولاتصالاته الخلوية والذرية وانجمية وسلوكها المنظم والهادف وهو سر الإلوهية والربوبية الساري بقدرته في الكون كله وكل كائناته من خلال كافة أسماءه الحسنى وصفاته العلى وطاقاتها الإيجابية الفاعلة بالنور الاسم الإلهي وطاقته ولتنتفي مع السر الإلهي تمامًا وكليًا ودائمًا العبثية واللهو والعشوائية والصدفة والحظ في الخلق والأمر . وقديمًا أوضح النبي موسى عليه الصلاة والسلام ذلك إلى فرعون مصر المتأله فيما يسجل لنا القرآن العظيم ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٤٩-٥٠].

وخلق الإنسان بعد أن أتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، ووضع الأرض للأنام ووضع فيها أقواتها وجعل من الماء كل شئ حي، وقد خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملاً، وجعل (في تفرقة بين الخلق والجعل). الظلمات والنور (الآية الأولى من سورة الأنعام) وخلق كل شئ فقدره تقديراً وأحسن كل ما خلقه وهداه ووجهه وسيطر عليه وتحكم فيه وهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة

(١) كما في حديث النبي الخاتم محمد صلوات الله عليه وسلامه «كان الله ولم يكن شئ غيره».

ولا نوم مدبر الأمر في السماوات والأرض، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، حتى تقوم القيامة وتأتي الساعة ويحاسب الإنسان على ما سعي فيما قدم وأخر أو أسرَّ وأظهر حسابا ذاتياً دون أن تزر وازرة وزر أخرى، حتى يلقى جزاءه الأوفى في الخلود في الوجود في الجنة أو النار، النعيم أو العذاب حيث وزن الأعمال بميزان العدل المطلق والحق والقسط مع رحمة الله الرحمن الرحيم. ثم رحمة خاتم المرسلين وشفاعته في مقامه المحمود، وشفاعة الشافعين الذين يشفعون بإذن الله وحده من الملائكة والأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلى الناس ومن الصالحين من أتباعهم.

ومع ذلك فإن موضوع بداية نشأة الكون سيظل غير قابل للإدراك أو الإحاطة بتفاصيله بالعلم المادي الفيزيائي أو الرياضي وحده. وستكون التفسيرات الدينية هي دليلنا لمعرفة ما يقوله الوحي الإلهي حقا وحقيقة في هذا الأمر .

ويذهب الأستاذ الدكتور زغلول راغب النجار[1] إلى : « أن نظرية الانفجار العظيم (BIG BANG) سبق أن أشار إليها القرآن العظيم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة حين ذكر في سور الأنبياء ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ والمعنى الواضح من هذه الآية الكريمة أن السماوات والأرض كانتا في الأصل شيئاً واحدا متصلا وملتئماً وملتحماً ففتقه ربنا تبارك وتعالى بأمر منه سبحانه إلى الأرض التي نحيا عليها وإلى سبع سماوات من فوقنا. وهذا السبق القرآني بتحقق الفتق بعد الرتق يجعلنا نرتقي بنظرية الانفجار الكوني العظيم إلى مقام الحقيقة. ويستطرد الأستاذ الدكتور زغلول النجار فيقول : « إن هذه الآية الكريمة واضحة الدلالة على أن الكون الذي نحيا فيه كون مخلوق له بداية بدأ الله تعالى خلقه من جرم أبتدائي واحد (مرحلة الرتق) ثم أمر سبحانه وتعالي بفتق هذا الجرم الأبتدائي ما نفتق

(١) في كتابه «مختارات من تفسير الآيات الكونية في القرآن» الناشر مكتبة الشروق الدولية .

(مرحلة الفتق) وتحول إلى غلالة من الدخان (مرحلة الدخان) وخلق الله تعالي من هذا الدخان كلا من الأرض والسماء أي جميع أجرام السماء وما ينتشر بينهما من مختلف صور المادة والطاقة مما نعلم ومما لا نعلم.»أنتهى.

وقد كان لأكتشافات كل من بنزياس وولسون الدليل المادي الملموس لدعم نظرية الأنفجار العظيم، والإرتقاء إلى مقام الحقيقة شبه المؤكدة ودفع الغالبية الساحقة من علماء الفلك والفيزياء الفلكية إلى الأعتقاد بصحتها، وكما يقول الأستاذ الدكتور زغلول النجار: «أن نظرية الأنفجار العظيم في خلق الكون هو دليل من الأمل القدرة الإلهية التي صنعت هذا النظام الكوني البديع بتصميمه الدقيق المحكم الأبعاد والعلاقات والتفاعلات المنضبط الكتل والأجسام والمسافات، منتظم الحركة والتداخلات مبني على الوتيرة نفسها من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته على الرغم من تعاظم أبعاده وكثرة أجرامه وتعقيد علاقاته ... وأن إنفجار هذه نتائجه لا يمكن أن يكون قد تم بغير تدبير حكيم وتقدير مُسبق عظيم لا يقدر عليه إلا رب العالمين».. أنتهى.

حجية نظية الأنفجار العظيم (BIG BANG)

هناك شبه أتفاق بين علماء الكونيات على صحة هذه النظرية مع اختلاف في التفاصيل. فبالإضافة إلى البراهين الفيزيائية القاطعة على أن للكون بداية، وذكرناها في موضع سابق في كتابنا، وما يعني أن العلم قد أجاب على القضية الفلسفية المعقدة حول : «هل الكون قديم أم حادث؟» فقد قال العلم كلمته التي اتفقت مع كلمة الدين بأن الكون حادث وقد أصبح هذا المفهوم بمثابة حقيقة وبديهية علمية ومن هنا أري أن الدكتور هوكنج ومن هم أمثاله في المعتقد يخطئون عندما يجتهدون بالعلم المادي الفيزيائي أو الرياضي لإثبات عكسها .

ويقول العلماء إنه تبدت عند حدوث الإنفجار العظيم .

أي بداية الكون – خمسة معالم خارقة لا تخضع للقوانين الفيزيائية السائدة

الآن، ولا يمكن للعلم وحده أن يفسرها وهي :

١ – صِغَر النقطة التي بدأ بها الإنفجار« المُفردة Singularity، وهي أصغر من طول بلانك[1]. وهي بلا شك تفوق أعلى كثافة عُرفت في الكون حتى الآن، وهي كثافة النجم النيتروني.

٢ – كانت المفردة لا نهائيةالكثافة (تحوي كتلة الكون الحالي كله في نقطة أصغر من طول بلانك). وهي بلا شك تفوق أعلى كثافة عُرفت في الكون حتى الآن، وهي كثافة النجم النيتروني.

٣ – حدث الإنفجار الأعظم عند درجة حرارة تجاوزت درجة حرارة بلانك[2]، تصل إلى عشرة مليار مليار مليار مليار (١٠^٣٦) درجة مطلقة (كلفن)[3].

٤ – كانت القوى الطبيعية الأربع متوحدة في قوة واحدة داخل المفردة اللامتناهية الصغر يقتضي بناء مُسَرِّع Accelerator يعادل حجم المجموعة الشمسية، فكيف توحدت القوى الأربع في المُفردة ؟! .

٥ – تجاوزت سرعة تمدد الكون الوليد سرعة الضوء مليارات المرات.

مما سبق نخرج بالإستنتاجات التالية :

أولا: بدأت نشأة الكون في «العدم المطلق» Absolute Nothingness بمعنى:-

لا مكان – لا زمان – لا مادة – لا طاقة .

ثانياً: بدأت نشأة الكون بخمس ظواهر خارقة للقوانين الفيزيائية المعروفة

---

(١) طول بلانك: أصغر طول يمكن نظرياً أن توجد عليه المادة، وإلا تحولت إلى ثقب أسود يبتلع كل شيء يقترب منه حتى الضوء، ويساوي ١٠-٣٣سم .

(٢) حرارة بلانك : درجة الحرارة التي لا يمكن تجاوزها فيزيائيًا (١٠^٣٢ درجة مطلقة) وينسب طول بلانك وحرارة بلانك إلى عملاق الفيزياء الألماني ماكس بلانك مؤسس نظرية الكم، ولد عام ١٨٥٨ وحصل على جائزة نوبل عام ١٩١٨ وتوفي عام ١٩٤٧.

(٣) الصفر المطلق (كلفن) : يقل عن الصفر المئوي بمقدار ٢٧٣ درجة مئوية .

الآن .

ثالثاً : سار الكون :

- من حالة اللا انتظام المطلق وما يصاحبها من فقدان وتوزيع سيئ للطاقة، إلى حالة الانتظام والاستغلال الأفضل للطاقة (بناء المادة بدلاً من فقدان الطاقة كطاقة حرارية).

- ومن البنية الأبسط قليلة الفائدة إلى البنية الأعقد المناسبة لغاية لاحقة.

- ومن المادة ذات الوظيفة الأقل أداة وكفاءة،إلى وظيفة أفضل أداة وكفاءة.

ولما كان القانون الثاني للديناميكا الحرارية يحدد أن اللاأ نتظام في منظومة ما (System) يتجه إلى المزيد من التبعثر والفوضى وفقدان الطاقة ما لم ينظمه مؤثر خارجي ، فإن الاتجاه إلى الأكثر انتظاماً والأعقد بنية والأكفأ أداة ووظيفة يحتاج بشكل حتمي إلى تدخل ذكي فعال من خارج المنظومة، لا دور للمصادفة فيه، إذ إن المصادفة فيه، غير مرسومة المسار تطرح ملايين الأحتمالات التي لا يمكن التغلب على ما فيها من تبعثر وفوضى.

من ذلك تجزم أن المصمم الذكي (الله ﷻ) قد أختار آلية التطور الموجه، ليخلق هذا الوجود. وجدير بالذكر– وكما جاء في كتاب « موجر تاريخ الزمن» فقد أضاف أينشتاين معادلات ما أسماه (الثابت الكوني) ليحافظ على المفهوم الذي كان سائدا في ذلك الوقت وهو ثبات الكون وأزليته.

ولكن عندما أثبت أدوين هابل في عام ١٩٢٩ أن الكون يتمدد إعترف إينشتاين أن إضافته للثابت الكوني يعتبر أكبر خطأ في حياته العلمية، ولا أرى أن هذا يمس مقدار أينشتاين العلمي. رغم تكبير هوكنج لهذا الأمر في كتابه. ولابد أن أثبت الآن أن هناك توافق عميق وحقيقي بين القرآن العظيم وبين جذور العلم حيث أن كل العلوم على قناعة محورية واحدة هي أن الكون (منظم) وقد عبر أينشتاين عن ذلك بقولته المشهورة « إن أكثر الأمور أستفصاءاً على الفهم في الكون

أنه (منظم) (The most incomprehensible thing in the unviverse is that it is comprehensible) وأكثر العلماء الكبار الذين تحدث عنهم هوكنج في كتابه الذي نعلق عليه كانوا متدينون ومؤمنون بالإله الخالق .. مثل نيوتن وكوبر نيكوس وجاليليو وكبلر وأينشتاين .. وقد روى عن إسحق نيوتن مثلاً قوله أن هذا النظام الأكثر روعة الذي يحتوى الشمس والكواكب والمذنبات لا ينشئه إلا موجد فائق الذكاء والقدرة موجد يتحكم في كل شئ ليس كروح العالم ولكنه كإله فوق الجميع» .

إن الكون ، كأي شئ موجود وكائن، له بداية وله نهاية وليس ثابت وساكن ودائم فلا يوجد شئ سرمدي ودائم ليس له بداية أو نهاية إلا (الله) سبحانه وتعالى الذي من أسمائه الحسنى في القرآن العظيم (الأول والآخر) الأول الذي ليس له بداية فلاشئ قبله والآخر الذي ليس له نهاية ولا شئ بعده . وبذلك يخطئ علماء ميكانيكا الكم أو فيزياء الكم (ومنهم ستيفن هوكنج وجيم هارتل) حين يقدمون مفهومهم عن الكون أنه ليس له بداية في الإيجاد والخلق وليس له نهاية في الفناء والزوال في أعتبارات (الزمان الخيالي) و(المتخيل) عندهم (Imaginary Time) أي أنهم يرون أن الكون لا يفنى ولايستحدث : (Niether created or Destroyed) ومن أجل ذلك قالوا بالزمان الخيالي المتخيل الذي أفترضوا وجوده إلى جانب الزمان (الحقيقي) (Real Time) ، وهم يقسمون الزمان بإستخدام أرقام تخيلية غير حقيقة .

أما ما الذي كان قبل بداية الكون وقبل الإنفجار العظيم وما هي القوة التي أستطاعت بقدرتها العظيمة وطاقتها الهائلة وبذكائها الخارق وحكمتها البالغة ومشيئتها النافذة وأمرها الناجز أن تُفجر الإنفجار العظيم نفسه الذي بدء غير منضبط وتسوده الفوضى ليترتب عليه ما وُجد وما صُنع وما كان وتم تطويره والأنتقال به من الفوضى إلى النظام ولينتهي إلى بنية ذكية في وحدة نسيجها المشمول بالضبط الدقيق والتصميم الذكي والمبدأ البشري في مواءمة لنشأة الكون وبنيته ومواءمة لقوانين الكون الفيزيائية لبزوغ الحياة وظهور الإنسان في كوكب الأرض من المجموعة الشمسية وموقعها فيها وهي شديدة التميز والتفرد في

طبيعتها التي وضعها الله لتكون صالحة للأنام ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ ﴾ [الرحمن:١٠] وما يدل عليه كل ذلك من تخطيط باهر وعظيم لا تقدر عليه صدفة بحتة أو عشوائية عمياء أو حظ بغير قصد ولا يقدر عليه إلا (إله) قادر وقوي ومتين[١] وعليم وحكيم يفعل ما يشاء لا مُعقب ولا حجر عليى مشيئته وإرادته وأمره . وحتى الدكتور/ ستيفن هوكنج فيقول : «إننا لا نستطيع تحديد ما كان قبل قبل الإنفجار الكوني العظيم وأن ظروف ما قبله لا يجب أن تشكل أي جزء من تصورنا العلمي للكون .. علينا أن نكتفي بأن نقول أن الإنفجار العظيم هو بداية الزمن وذلك يعني أن الأسئلة التي تدور حول كيف تهيأت الظروف لهذا الإنفجار ليست بالأسئلة التي يتناولها العلم» أنتهي . وكما يقول تشارلز تاونز عالم الفيزياء الأمريكي الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٤ « لا شك أن السؤال عن بداية نشأة الكون سيظل دون إجابة علمية ولذلك أعتقد أن هناك حاجة إلى التفسيرات الدينية الغيبية ومن ثم فإنني أؤمن بالإله الذي خلق الكون» .

لقد عجز علماء الكون عن طرح تفسير مادي معقول لحدوث الإنفجار العظيم وقد أدى ذلك إلى إبراز العلماء ما سموه « البرهان الكوني» الذي أصبح من أكثر البراهين العلمية المنطقية دلالة على وجدود إله خالق للكون إلى جانب برهان « الضبط الدقيق » الذي يدل على أن هناك ذكاء علوي يمتزج بكل من الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وليست هناك قوى عمياء في الطبيعة كما يظن العلماء الماديون الملحدون. ويضاف إلى هذين البرهانين الدالين على وجود الإله الخالق « المبدأ البشري» الذي يفيد بإختصار بأنه تم بناء الكون على هيئة تجعله ملائما تماماً لنشأة الحياة ولظهور الإنسان على كوكب الأرض في المجموعة الشمسية في مجرتنا التي وضع الله الخالق فيها الأرض للأنام كما تقول الأديان السماوية الثلاثة في التوراة والإنجيل والقرآن .

(١) المتين هو شديد القوة وهو اسم من أسماء الله الحسنى ورد في القرآن الكريم.

مفاهيم عن بداية الكون في القرآن العظيم

(أولا) مفهوم الأستاذ الدكتور زغلول راغب النجار(١) .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء : ٣٠]

وهذه الآية الكريمة واضحة الدلالة على أن الكون الذي نحيا فيه كون مخلوق له بداية بدأ الله (تعالى) خلقه من جرم ابتدائي واحد (مرحلة الرتق) ، وهو القادر على كل شيء، ثم أمر الله (تعالى) بفتق هذا الجرم الابتدائي فانفتق (مرحلة الفتق) وتحول إلى غلالة من الدخان (مرحلة الدخان)، وخلق الله (تعالي) من هذا الدخان كلا من الأرض والسماء أي جميع أجرام السماء وما ينتشر بينها من مختلف صورة المادة والطاقة مما نعلم وما لا نعلم.

جاء نموذج إدنجتون وسطاً بين النموذجين بمعنى أن الكون بدأ بحالة ساكنة، ثم أخذ في التمدد نظراً لطغيان قوى الدفع للخارج على قوى الجاذبية، ولكن إنطلاقاً من فكر الإلحاد السائد في عصره اضطر إدنجتون إلى فرض ماض لانهائي للكون ليتخلص من حقيقة الخلق، وشبح الإنفجار الكبير والذي سماه بالبداية « الكارثة».

في السنوات ١٩٣٢ – ١٩٣٤م أقترح ريتشارد تولمان نموذجاً متذبذباً للكون يبدأ وينتهي بعملية الإنفجار الكبير. وأخيراً أقترح آلان جوت نموذج الكون المتضخم، والذي يقترح فيه أن الكون المبكر تمدد في أول الإنفجار تمدداً

(١) كما جاء في كتابه « الآيات الكونية في القرآن الكريم» الجزء الأول – الناشر مكتبة الشروق الدولية .

رأسياً سريعاً جدًّا مع سطوع فائق، ثم أخذت معدلات التوسع في التباطؤ إلى معدلاتها الحالية، ومن منطلق إنكار لخلق ينادي الفلكيون المعاصرون بفكرة الكون المفتوح أي الذي يتمدد إلى ما لا نهاية ولكن حسابات الكتل المفقودة تؤكد أنغلاق الكون، هذا الإنغلاق الذي سيقف بتمدده عند لحظة في المستقبل يعود الكون فيها إلى الإنكماش والتكدس على ذاته ليعاود سيرته الأولى .

وبالتدرج بدأت فكرة تمدد الكون إلى حد ما في المستقبل تلقى القبول من الغالبية الساحقة من علماء الفلك والفيزياء الفلكية والنظرية ، وإن بقيت أعداد منهم يدعون إلى ثبات الكون حتى مشارف الخمسينيات من القرن العشرين، ومن هذه الأعداد جماعة كمبردج المكونة من كل من هيرمان بوندي، وتوماس جولد، وفريد هويل. وقد قام هذا الفريق بنشر سلسلة من المقالات والبحوث في السنوات ١٩٤٦ - ١٩٤٨ - ١٩٤٩م دفاعاً عن النموذج الثابت للكون ثم أضطروا غلى الاعتراف بحقيقة تمدده بعد ذلك بسنوات قليلة، ومن عجائب القدر بهؤلاء الجاحدين لحقيقة الخلق، المتنكرين لجلال الخالق(سبحانه وتعالى) المنادين كذبًا بأزلية العالم، أن يكون أحد زعمائهم وهو فريد هويل الذي حمل لواء الادعاء بثبات الكون واستقراره وأزليته لسنوات طويلة هو الذي يعلن بنفسه في سخرية لاذعة تعبير الانفجار الكبير للكون.

من الدلالات العلمية للآية الكريمة

بقايا الإشعاع الكوني كدليل على الانفجار العظيم .

في سنة ١٩٤٨م، أعلن كلٌّ من جورج جامو وزميله رالف ألفر أن تركيز العناصر في الجزء المدرك من الكون يشير إلى أن الجرم الأولي الذي بدأ به الكون كان تحت ضغط وفي درجة حرارة لا يكاد العقل البشري أن يتصورهما، وعند أنفجاره انتقلت تلك الحرارة إلى سحابة الدخان الكوني التي نتجت عن ذلك الإنفجار، وسمحت بعدد من التفاعلات النووية التي أدت إلى تكون العناصر

الأولية من مثل الأيدروجين والهيليوم.

وفي السنة نفسها ١٩٤٨م، قدم كلٌّ من ألفر وهيرمان أقتراحاً بأن الجرم الإبتدائي للكون كان له إشعاع حراري يشابه إشعاع الأجسام المعتمة، وأن هذا الإشعاع تناقصت شدته مع استمرار تمدد الكون وتبرده، ولكن لابد أن تبقى منه بقية في صفحة السماء، إذا أمكن البحث عنها وتسجيلها، كانت تلك البقية الإشعاعية من أقوى الأدلة على بدء خلق الكون بعملية الإنفجار الكبير.

وفي سنة ١٩٦٤م، تمكن أثنان من علماء مختبرات بل للأبحاث وهما أرنو بنزياس وروبرت ويلسون بمحض المصادفة من إكتشاف تلك البقايا الأثرية للإشعاع الحراري الكوني على هيئة ضوضاء لاسلكية محيرة تفد بإنتظام إلى الهوائي الذي كانا قد نصباه لغاية أخرى من جميع الجهات في السماء حيثما وجه الهوائي، وقدروها بثلاث درجات مطلقة -٢٧٠ درجة مئوية - في الوقت نفسه كان كلٌّ من بروبرت دايك وتلميذه بيبلز قد أستنتجا من معادلاتهما الرياضية الفلكية أن النسب المقدرة لغازي الإيدروجين والهيليوم في الكون تؤكد الكمية الهائلة من الإشعاع التي نتجت عن الإنفجار الكبير وتدعم نظريته، ومع تمدد الكون ضعف هذا الإشعاع بالتدريج وانخفضت درجة حرارته إلى بضع درجات قليلة فوق الصفر المطلق -٢٧٣ درجة مئوية.

في سنة ١٩٦٥م، قام كلّ من بنزياس وولسون بتصحيح قيمة البقايا الأثرية للإشعاع الحراري الكوني إلى ٢.٧٣ من الدرجات المطلقة، وأثبتا أنها من الموجات الكهرومغناطيسية المتناهية في القصر، وتقدر قيمتها اليوم بأقل قليلاً من قيمتها السابقة ٢.٧٢٦ من الدرجات المطلقة .

في سنة ١٩٨٩مم، أرسلت مؤسسة ناسا الأمريكية إلى الفضاء قمراً صناعياً لجمع المعلومات حول الإشعاع الحراري الكوني أطلق عليه اسم كوب، وزود بأجهزة فائقة الحساسية أثبتت وجود تلك الأشعة الأثرية المتبقية عن عملية

الإنفجار العظيم. وكان في هذا الاكتشاف التفسير المنطقي لسبب الأزيز اللاسلكي المنتضم الذي يعج به الكون والذي يأتي إلينا من مختلف أطراف الكون المدرك، والذي قى على هيئة صدى لعملية الإنفجار الكبير، وقد منح كل من بنزياس وولسون جائزة نوبل في سنة ١٩٧٨م على أكتشافهما الذي كان فيه الدليل المادي الملموس لدعم نظرية الإنفجار الكبير، والأرتقاء بها إلى مقام الحقيقة شبه المؤكدة، ودفع بالغالبية الساحقة من علماء الفلك والفيزياء الفلكية إلى الاعتقاد بصحتها، وسبحان الخالق الذي أنزل في محكم كتابه من قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة قوله الحق:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء : ٣٠].

وبدء خلق الكون بعملية إنفجار كبرى هو من دلائل طلاقة القدرة الإلهية، لأنه من المعروف أن الإنفجار بطبيعته يؤدي إلى تناثر المادة وبعثرتها ولا يخلف وراءه إلا الدمار، أما هذا الإنفجار الكوني (الفتق بعد الرتق) فقد أدى إلى إبداع نظام كوني له تصميم دقيق محكم الأبعاد والعلاقات والتفاعلات، منضبط الكتل والأحجام والمسافات، منتظم الحركة والجرى والتداخلات، مبنى على الوتيرة نفسها من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته على الرغم من تعاظم أبعاده، وكثرة أجرامه، وتعقيد علاقاته، وإنفجار هذه نتائجه لا يمكن أن يكون قد تم بغير تدبير حكيم وتقدير مسبق عظيم لا يقدر عليه إلا رب العالمين، وقد أشار العالم البريطاني المعاصر ستيفن وهوكنج إلى شئ من ذلك في كتابه المعنون بـ «تاريخ موجز الزمن» الذي نشره في كندا سنة ١٩٨٨م، ولكن إشاراته جاءت على استحياء شديد نظراً لجو الإلحاد الذي يسود الغرب بصفة عامة في زمن العلم والتقنية الذي نعيشه، والكتاب مملوء بالإستنتاجات المؤكدة لحقيقة الخلق، وعظمة الخلاق (سبحانه وتعالى).

القرآن الكريم وخلق السماوات والأرض :-

في الوقت الذي ساد فيه الاعتقاد الخاطئ بأن الكون الذي نحيا فيه كان منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد، وأنه كون لانهائي، أي لا تحده حدود، وأنه كون ساكن، ثابت في مكانه، لا يتغير، وأن النجوم مثبتة في السماء التي تدور بنجومها كقطعة واحدة حول الأرض، وأن الكون شامل للعناصر الأربعة: التراب، والماء، والهواء، والنار، وحول هذه الكرات الأربع تدور السماء بنجومها، وغير ذلك من الخرافات والأساطير، في هذا الوقت جاء القرآن الكريم مؤكداً أن الكون مخلوق له بداية، ولابد أنه ستكون له في يوم من الأيام نهاية، وكل مخلوق محدود بحدود لا يتجاوزها، ومؤكداً أن جميع أجرام السماء في حركة دائبة، وجرى مستمر إلى أجل مسمى، سابحه في أفلاكها وكما يقول ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠] وأن السماء ذاتها في توسع دائب إلى أجل مسمى، وأن السماوات والأرض كانتا في الأصل جرماً واحداً ففتقهما الله (تعالى) فتحولت مادة هذا الجرم الأول إلى الدخان الذي خلقت منه الأرض والسماء، وأن هذا الكون سوف يطوي ليعود كهيئته الأولى جرماً واحداً مفرداً ينفتق مرة أخرى إلى غلالة من الدخان تخلق منها أرض غير أرضنا الحالية، وسماوات غير السماوات التي تظلنا في حياتنا الدنيا، وهنا تتوقف رحلة الحياة الأولى وتبدأ رحلة الآخرة .

وقد لخص لنا ربنا (تبارك وتعالى) عملية خلق السماوات والأرض وإفنائهما، وإعادة خلقلهما في صياغة كلية شاملة من قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وذلك في خمس آيات من آي القرآن الكريم على النحو التالي :

١ - ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات : ٤٧]

٢ - ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء : ٣٠].

٣ - ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت :١١].

٤ - ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤].

٥ - ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وهذه الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى عدد من حقائق الكون الكبرى والتي منها:

(١) توسع الكون منذ اللحظة الأولى لخلقه وإلى أن يشاء الله .

(٢) ابتداء خلق الكون من جرم أولي واحد (مرحلة الرتق الأول).

(٣) فتق هذا الجرم الأولي أي إنفجاره (مرحلة الفتق الأول) .

(٤) تحول المادة في الجرم الأولى عند فتقه إلى الدخان (مرحلة الدخان).

(٥) خلق كلٍّ من الأرض والسماوات من الدخان الكوني (مرحلة الإتيان بكل من الأرض والسماء) .

(٦) حتمية عودة الكون بكل ما فيه ومن فيه إلى جرم ابتدائي واحد مشابه للجرم الأولي الذي ابتدأ منه الخلق (مرحلة الرتق الثاني أو طي السماء أو الأنسحاق الشديد للكون) .

(٧) حتمية فتق هذا الجرم الثاني أي أنفجاره (مرحلة الفتق للرتق الثاني) .

(٨) حتمية تحول الرتق الثاني بعد فتقه إلى غلالة من الدخان الكوني.

(٩) إعادة خلق أرض غير أرضنا الحالية وسماوات غير السموات التي تظللنا

اليوم وبداية رحلة الآخرة .

وهذه الحقائق الكونية لم يستطع الإنسان إدراك شيء منها إلا في القرن العشرين، حين توصل العلم الحديث إلى إثبات توسع الكون في الثلث الأول من ذلك القرن، ثم اندفع بهذه الملاحظة الصحيحة إلى الإستنتاج المنطقي أننا إذا عدنا بهذا الإتساع إلى الوراء مع الزمن، فلا بد أن تلتقي جميع صور المادة والطاقة المنتشرة في الكون، كما يلتقي كلٌّ من المكان والزمان، وجميع ما في الكون من موجودات في نقطة واحدة تكاد تقترب من الصفر أي العدم على هيئة ابتدائية للكون أو «مرحلة الرتق»، وأن تلك الهيئة الأولية كانت متناهية في الصغر، كما كانت بالقطع في مستوى من الكثافة ودرجة الحرارة لا يكاد العقل البشري أن يتصورهما فانفجرت (مرحلة الفتق)، ونتج عن هذا الإنفجار الكوني العظيم (الفتق بعد الرتق) تحول هذا الجرم الأولي للكون – المتناهي في ضآلة الحجم وضخامة الكثافة وشدة الحرارة – إلى غلالة من الدخان (مرحلة الدخان الكوني) الذي خلق الله (تعالى) منه الأرض والسماء (مرحلة الإتيان بكلٍّ من الأرض والسماء) .

هذه الحقائق الكونية الكبري في خلق السماوات والأرض، لم يستطع الإنسان الوصول إلى إدراك شئ منها إلا في منتصف القرن العشرين أو بعد ذلك، حين تبلورت نظرية فلكية باسم (نظرية الإنفجار العظيم»، وهذه النظرية هي الأكثر قبولاً عند علماء الفلك وعلماء الفيزياء الفلكية والنظرية في تفسير نشأة الكون، وقد سبق القرآن الكريم بالإشارة إليها من قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وذلك يقول الحق تبارك وتعالى):

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء : ٣٠].

والرتق: في اللغة عكس الفتق، لأن الرتق هو الضم والألتحام والألتئام سواء كان ذلك طبيعياً أو صناعياً، يقال رتقت الشئ فأرتتق أي فالتأم والتحم.

والفتق : لغة هو الفصل والشق والإنشطار وبمعنى الانفجار :

والمعنى الوضح لنا من هذه الآية الكريمة أن السماوات والأرض كانتا في الأصل شيئاً واحداً متصلاً، وملتئماً، وملتحماً، ففتقه ربنا (تبارك وتعالى) بأمر منه (سبحانه) إلى الأرض التي نحيا عليها، وإلى سبع سماوات من فوقنا.

والقرآن الكريم هنا يعطي الصورة الكلية الجامعة لهذا الحدث الكوني العظيم ويترك التفاصيل لجهود العلماء والمفكرين الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض، والذين تجمعت ملاحظاتهم العلمية الدقيقة في صفحة السماء لتؤكد في منتصف القرن العشرين صدق ما قد أنزله الله (تعالى) في آخر كتبه، وعلى خاتم أنبيائه ورسله (عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم) من قبل ألف وأربعمائة من السنين. هذا السبق القرآني بحقيقة الفتق بعد الرتق يجعلنا نرتقي بنظرية الإنفجار الكوني العظيم إلى مقام الحقيقة، ونكون هنا قد أنتصرنا بالقرآن الكريم للعلم المكتسب، وليس العكس، والسبب في لجوئنا إلى تلك النظرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية ٣٠ من سورة الأنبياء هو أن العلوم المكتسبة لا يمكن لها أن تتجاوز مرحلة التنظير في القضايا التي لا تخضع لحس الإنسان المباشر أو إدراكه المباشر، من مثل قضايا الخلق والإفناء وإعادة الخلق: خلق الكون، وخلق الحياة، وخلق الإنسان، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف :٥١]

(ثانياً) مفهوم الأستاذ الدكتور / عمرو شريف[1].

نوجز قصة خلق الكون التي تظهر ملامح التطور في الخلق كما تظهر بجلاء ما

(١) كما جاء في كتابه « خرافة الإلحاد» الفصل الرابع « الكون بين الإله والإلحاد» الناشر مكتبة الشروق الدولية وهو نقل بتصرف من كتاب « موجز تاريخ الكون من الإنفجار الأعظم إلى الإستنساخ البشري» للدكتور هاني رزق.

يتسم به هذا السيناريو من ذكاء وقصد .

في اللحظة صفر، التي ترجع إلى ١٣.٧ مليار عام تقريباً، وُجدت «المفردة » Singularity التي بدأ بها الإنفجار الكوني الأعظم. وقد أخذت المفردة شكل نقطة ذات صفات تعجز قوانين الفيزياء، التي تحكم الكون الآن، أن تفسر وجودها: لا نهائية الصغر، لا نهائية السخونة، لا نهائية الكثافة، وقد توحدت فيها قوى الطبيعة الأربع في قوة واحدة[١] .

وفور حدوث الانفجار الكوني الأعظم (لحظة الخلق) تَمَدد الكون الوليد بسرعة تفوق سرعة الضوء مليار مليار مرة، وقدكانت هذه السرعة مضبوطة بإحكام (سرعة حرجة) بحيث لا تؤدي إلى تبعثر مكونات الكون، كما لا تؤدي إلى إنهياره على نفسه .

ثم تشكلت الجسيمات الأولية للمادة (الكواركات[٢] والإلكترونات[٣] من الطاقة، نتيجة لتبرُّد الكون الوليد. وخلال أجزاء من الثانية غاية في الضآلة تشكلت من الكواركات البروتونات[٤] والنيوترونات[٥]، التي شكلت بعد ذلك نويات ذرات الهيدروجين الثقيل والهيليوم. ثم أسَرَت هذه النويات الإلكتورنات في مدارات حولها لتشكل الذرات.

لم يكن للخطوات السابقة أن تحدث دون ولادة قوى الطبيعة الأربع التي وجهت عملية الخلق، فبعد وقوع الإنفجار الكوني الأعظم والإنخفاض المتوالي

(١) هذه القوى هي : قوة الجاذبية، القوة النووية القوية، القوة النووية الضعيفة، القوة الكهرومغناطيسية ، وسيأتي الحديث عنها بعد قليل .

(٢) جسيمات تحت ذرية، تختلف طبيعتها تبعاً لشحنتها ولونها وكتلتها ورائحتها! .

(٣) جسيمات تحت ذرية ، سالبة الشحنة تتخذ مدارات حول نواة الذرة .

(٤) جسيم موجب الشحنة يقع في نواة الذرة ويتكون من ثلاثة كواركات.

(٥) جسيم متعادل الشحنة يقع في نواة الذرة ويتكون من ثلاثة كواركات.

في درجة الحرارة للكون الوليد وُلدت (قوة الجاذبية)، التي حالت دون تبعثر نواتج الإنفجار. ثم هبطت درجة حر رة الكون الوليد إلى مستوى سمح بميلاد (القوة النووية الشديدة) فترابطت الكواركات ببعضها مُكونة البروتونات والنيوترونات، كما ربطت تلك القوة هذه الجسيمات لتُكوِّن نويات ذرات الهيدروجين الثقيل والهيليوم. وعندما هبطت درجة الحرارة الكون إلى مستوى سمح بميلاد (القوة الكهرومغناطيسية) قامت هذه القوة بأسر الإلكترونات حول النوبات لتُشكل الذرات الخفيفة، ووُلدت معها (القوة النووية الضعيفة)، ثم أنشطرت القوتان الأخيرتان مع المزيد من هبوط درجة حرارة الكون .

لقد أنتشرت مادة الكون إنتشاراً متجانساً في أرجاء الكون، ولأسباب لم يجد لها العلم تفسيراً حتى الآن .

وتكونت هنا وهناك جُزر صغيرة تزيد كثافة المادة فيها عن باقي نواحي الكون بفارق ضئيل جدًّا (جزء من مائة ألف جزء)، وقد شكلت هذه الجزر بذور مجرات المستقبل .

داخل هذه المجرات نشأ الجيل الأول من النجوم، وتمت فيه اندماجات نووية متسلسلة سمحت بتكوين العديد من العناصر الكيميائية، وقد أنتشرت هذه العناصر في الكون عندما انفجرت بعض هذه النجوم (السوبرنوفا). لذلك أشتلمت نجوم وكواكب الجيل الثاني والثالث، ومنها شمسنا وأرضنا، على العديد من العناصر الثقيلة.

وبذلك تطور الخلق: المفردة ... الطاقة... المادة (كواركات وإلكترونات) ... نوبات... الذرات...الهيدروجين...والهيدروجين الثقيل (ديتريوم) والهيليوم نشأة المجرات... نشأة الجيل الأول من النجوم... تكون عناصر الجدول الدوري نشأة الجيل الثاني والثالث من النجوم... مولد المجموعة الشمسية... أستقرار كوكب ... الأرض .

ويقول الدكتور / عمرو شريف[1] : -

«هذه الحقائق الكونية الكبرى في خلق السماوات والأرض، لم يستطع الإنسان الوصول إلى إدراك شئ منها إلا في منتصف القرن العشرين أو بعد ذلك، حين تبلورت « نظرية الإنفجار الأعظم»، وهي النظرية الأكثر قبولاً عند علماء الفلك وعلماء الفيزياء الفلكية والنظرية في تفسير نشأة الكون.

والقرآن الكريم هنا يعطي الصورة الكلية الجامعة لهذا الحدث الكوني العظيم، ويترك التفاصيل لجهود علماء الفلك والفيزياء النظرية والمفكرين الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض، والذين تجمعت ملاحظاتهم العلمية الدقيقة لتؤكد في منتصف القرن العشرين صدق ما أنزله الله (تعالى) في آخر كتبه، وعلى خاتم أنبيائه ورسله (عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكي التسليم) من قبل ألف وأربعمائة من السنين. هذا السبق القرآني الذي تتوافق معه تماماً نظرية الأنفجار الكوني الأعظم.

ويستطرد الأستاذ الدكتور / عمرو شريف : -

أستطاع العلماء في القرن العشرين حل المعضلة التي حيرت الفلاسفة طوال آلاف السنين عندما توصلوا بأدلة قاطعة إلى أن للكون بداية أنطلقت من العدم المطلق (البرهان الكوني): كما كُشِفَت للعلماء الدقة الهائلة التي أُدبر بها سيناريو نشأة الكون (برهان الضبط الدقيق) . لقد أدرك المنصفون أن ما أنشأ الكون لم يكن أنفجاراً أعظم ! فالإنفجار حدث غير منضبط بالمرة تسوده الفوضى، أما ما حدث فشئ مغاير تماماً يتسحق أن نطلق عليه « التخطيط الأعظم»َ الذي لا يقدر عليه إلا إله حكيم قادر.

كذلك تميز سيناريو نشأة الكون بتوفير الظروف الدقيقة الموائمة لنشأة الحياة

(١) في كتابه « خرافة الإلحاد» الناشر مكتبة الشروق الدولية .

وتطور الكائنات الحية وصولاً إلى الإنسان (المبدأ البشري)، حتى ساد القول بأن الكون قد تم تفصيله على مقاس الإنسان.

وقد حاول الماديون تقديم الآليات والتفسيرات العشوائية التي تسمح بنشأة الكون من العدم على هذه الهيئة، تهرباً من إرجاعها إلى الإله الخالق، فخرجت أطروحاتهم ملأى باللامعقولية واللاعلمية، والكثير منها أقرب للخيال العلمي. ويكفينا لإثبات ذلك، أن نذكر مثالاً للدقة التي ينبغي أن تنتهجها العشوائية حتى تسمح بنشأة الحياة، فذلك يشبه أن تصوب من أحد أطراف الكون سهماً إلى عملة معدنية تقع في الطرف الآخر (على بُعد عشرين بليون سنة ضوئية) فتصيبها! إن وثقت في قدرتك على فعل ذلك فلتثق في قدرة العشوائية على إنشاء الكون الصالح لنشأة الحياة!

أما مطابقة قصة خلق السموات والأرض وتسخيرها للإنسان، كما جاءت في القرآن الكريم، ومطابقتها للحقائق التي توصلت إليها علوم الفضاء وضَمَّنَتْها نظرية الإنفجار الكوني الأعظم، فذات دلالتين: الأولى، أنها تؤكد ما أثبته العلم من أن الله ﷻ هو الخالق لهذا الكون، والثانية أن القرآن الكريم إينما هو تنزيل إلهي من الله العزيز الحكيم.

وسبحان القائل: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت : ٥٣]

الفصل السابع

علم الروحية الحديثة

إن تقدم العلوم في المستقبل في الأبحاث والدراسات والتجارب الروحية ستلقي أضواءًا جديدة وتعطينا معلومات جديدة على تفسيراتنا الفيزيائية والكمية للطبيعة الكونية والقيمة التي يمثلها الإنسان بعد أن سقطت في القرن العشرين كثير من الثوابت العلمية التي كانت سائدة في القرن الذي سبقه ولتحل محلها في القرن الواحد والعشرين متغيرات كان لها تأثيرها على فكر الكثير من العلماء وأدت بهم إلى التوجه نحو طريق الروحية والعلوم الروحية والمعرفة بالقدرات والطاقات الروحية في الإنسان (وهي تابعة من نفخة الروح الربانية كما يقول القرآن العظيم وتقول سائر الكتب السماوية التي جاءت قبله)، ووجود الكائنات الروحية النورية اللامادية والقدرات والطاقات اللامادية .. إلخ.

وحيث لا زالت (الروح) والقدرات والطاقات النابعة منها في عطاء الله الخالق للإنسان البشر أي النافخ فيه (من روحه) لا زالت مجهولة وغير معروفة لعلماء المادة والطبيعة المادية وقواها وطاقاتها لنقص معلوماتهم بشأنها أو عدم توفرها أصلاً عندهم أو قلة هذه المعلومات بشأنها لديهم في متواهم الحالي من العلم وكما يقول القرآن العظيم ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ والآية رد على سؤال الكهنة اليهود للنبي محمد في المدينة عن الروح.

تقول الدكتورة كارين أرمسترونج[1] (Karen Armstrong) في كتابها (تاريخ الإله) (History of God) « إن الإنسان كائن (روحي) وتقترح للجنس البشري إسما هو (الإنسان الدِّين) (Homo religious) بدلا من الإنسان العاقل) (Homo

(١) وهي مفكرة إنجليزية مهتمة بالأديان ولدت سنة ١٩٤٤م وتعتقد أن الأديان الرئيسية تتفق في المفاهيم الأساسية وترى أن الحل الجذري لجميع مشكلات الإنسانية هو « أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك.» وقد دعت في فبراير ٢٠٠٨ إلى تشكيل مجلس عالمي للتوفيق بين المسلمين والمسيحيين واليهود وأرمسترونج شديدة الأهتمام وشديدة الأحترام للإسلام واصدرت عنه عدة مؤلفات عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

(Saplien) ويرى عالمنا القدير الدكتور عمرو شريف أن الأعداد البيولوجي لأدمغتنا لتشكل منظومة الإلوهية - الدين - الأخلاق) والتي تنطلق من جوهر غيبي في الإنسان هو (الروح) وفيما أطلق عليه (جينات الإلوهية) التي تشارك في التوجهات الروحية للإنسان وتميزه بالذكاء الروحي (الوجودي) هذا الأعداد البيولوجي لأدمغتنا هو ما حدا بكارين أرمسترونج لأن تطلق على جنسنا البشري أسم (الإنسان الديِّن) وتؤكد الدكتورة أرمسترونج:

(إن المفاهيم الدينية فطرية عند الإنسان ومن ثم من المستحيل استئصال شأفة الدين من النفس الإنسانية). ولكن العلماء الماديين الصرف ويحسب منهم الدكتور ستيفن هوكنج يشكلون حاليًا «جبهة الإلحاد المتحدة» المستميتة في الحفاظ على كيانها الإلحادي والدفاع عنه ضد أي اختراق إيماني له علمي أو روحي أو ديني أو قرآني وينطبق عليهم ما يقوله القرآن العظيم ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:٣٩].

إن العلم يسعى للبحث عن الحقيقة حتى وإن خرجت عن التفسيرات المادية وكانت هذه مثلا عقيدة نيوتن وأينشتاين وجاليليو وكوبرنيكوس وأبن الهيثم أما في وقتنا الحالي فكثير من العلماء الماديين – منهم مؤلف كتاب موجز تاريخ الزمن – يدَّعون أن المنظور المادي هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة (وإن كان ذلك لم يُختبر بالأسلوب العلمي) وبالرغم من أن العلماء الماديين غير المؤمنين يعترفون بوجود الذكاء في الطبيعة فإنهم يرفضون الأقرار بالتصميم الذكي لأنه سيقودهم إلى الأعتراف بالمصمم الذكي وبالتالي بالديانات السماوية كلها ...

ونعلم الآن أنه قد نشأت حركة واسعة النطاق للبحث في (الروح) سرعان ما كان لها صداها في أغلب بلاد العالم فشملت بلاد الحضارة المعروفة وفي الهيئات العلمية التي قادت خطى هذه الحضارة وحملت مشاعلها منذ منتصف القرن الماضي حتى الآن[1].

(١) المختار وبتصرف من كتاب «الإنسان روح لا جسد» للأستاذ الدكتور رؤوف عبيد.

والأسماء في هذه الحركة كثيرة ، ومما يسترعي الأنتباه فيها أن أفضل روادها هم أنفسهم أفضل رواد العلوم المادية الذين أثبتوا أصالة في منطقهم وعمقاً في نظرتهم للأمور، كما أثبتوا أنهم في مجال التجريب والملاحظة يمثلوا مستوى خاصاً من القدرة عليهما، مما يبعث على الثقة الكافية في قيمة بحوثهم وفيما أنتهوا إليه من نتائج إيجابية. فمنهم مثلاً :

- السيكولوجي الشهير فردريك و.ه مايرز Frederic W. H. Meyers (١٨٤٣ – ١٩٠١) الذي يعد من علماء النفس المعدودين بسبب بحوثه العميقة في العقل الباطن .

- وسير ألفرد رسل والاس Alfred Russell Wallace (١٨٢٣ – ١٩١٣) وهو يعد في البيولوجيا نداً لداروين وشريكاً له في نظرية التطور عن طريق الأنتخاب الطبيعي.

- وسير وليام باريت William Barrett (١٨٤٥ – ١٩٢٦) وهو من علماء الطبيعة البارزين في تاريخها .

- ولورد رايلي Rayleigh (١٨٤٢ – ١٩١٩) ولا يقل شأناً عن سابقة، وقد نجح في عزل غاز الأرجون لأول مرة.

- وسير أوليفر لودج oliver Lodge (١٨٥٢ – ١٩٤٠) وكان يعد من أشهر علماء اللاسلكي في العالم، وظل يواصل بحوثه في موضوع الأرواح لمدة جاوزت نصف قرن، حتى بني أقتناعاً متكاملاً في هذا الشأن.

- ومنهم الفيلسوف وعالم السيكولوجيا وليام جيمس William James (١٨٤٢ - ١٩١٠) وقد سلم في مؤلفاته بصحة تجارب الجمعية البريطانية للبحث الروحي S. P. R.[1] ، والتي كان عضوا فيها ورئيساً لها وشيد عليها

(١) Society For Psychical Research .

دعائم فلسفة روحية خلدت أسمه .

- ومنهم الفيلسوف هنري برجسون Henry Bergson – أبرز فلاسفة هذا القرن بغير منازع – (١٨٥٩ – ١٩٤١) وقد كان رئيساً للجمعية الآنفة الذكرة في سنة ١٩١٣ وسلم بصحة تجاربها وأسس عليها فلسفة روحية من الطراز الأول.

- ومنهم فلكي وفيلسوف بارز وهو كامي فلاماريون Camille Flammarion (١٨٤٢ – ١٩٢٥) .

- ومنهم عالم الفسيولوجيا الشهير شارل ريشيه Charles Richet (١٨٥٠ – ١٩٣٥) الحائز على جائزة نوبل في الفسيولوجيا.

- ومنهم العلامة سيزار لومبروزو Cesar Lombroso (١٨٣٥ - ١٩٠٩) ، وهو من أشهر علماء علم الإجرام ومؤسس مدرسة فيه لعبت دوراً قوياً في تطوير القانون الجنائي ودفعه إلى الأمام .

وغيرهم كثير من أصحاب الأسماء البارزة ممن واصلوا بحوثهم في هذا الشأن لعشرات من السنين لتي بلغت الثلاثين عاماً عند كروكس وريشيه وجاوزت الخمسين عند لودج، وأنتهوا فيها إلى نتائج حاسمة ونهائية بشأن إمكان الأتصال بأرواح من نسميهم موتي وبالتالي الإيمان بخلود الإنسان.

- وبعد هؤلاء أتسعت حركة البحث العلمي في الروح حتى شملت العشرات ثم المئات من أفضل علماء القرنين الماضي والحاضر في شتى البلاد.

- ومنهم عدد من ذوي الأسماء اللامعة في الأدب وفي الصحافة مثل سير وليام ت. ستيد William T. Stead (١٨٤٩ – ١٩١٢) الذي كان نقيباً للصحفيين في بلاده. ومثل الروائي الشهير سير آرثر كنان دويل Arthur Conan Doyle (١٨٥٩ – ١٩٣٠) الذي أمضى حياته باحثاً وكاتباً وخطيباً في موضوع الأرواح والدكتور/ راين J.B. RHINE أشهر علماء الباراسيكولوجي ورئيس مؤسسة بحوث طبيعة

الإنسان[1]، والدكتور/ يوجين برنارد (EUGENE E. BERNARD) استاذ علم النفس بجامعة كارولنيا الشمالية وغيرهم.

إن المشكلة لم تعد الآن في إقناع الخاصة من الفلاسفة، بل هي في إقناع الإنسان المثقف العادي بموضوع يتعالى بغير ما ريب على الإحساس بل على قدرة التصور الإنساني. كما تتعالى كل حقائق الكون الخطيرة على هذا وعلى ذاك، حتى وإن بدأ الإنسان مدفوعاً بفطرته إلى الأعتقاد بالروح والتعلق بالحديث فيها عن فهم أو عن غير فهم ...

أما عن موقف الفلاسف والعلماء الكبار من موضوع الأرواح، فهؤلاء قد أقتنعوا الآن وأنتهى الأمر، وخفتت نهائياً أصوات المكابرين أو كادت، وبدأت علوم الحياة وخصوصاً علماء النفس والبيولوجيا – بل وعلوم المادة غير الحية أيضاً، تتخذ لها في بطء – ولكن في ثبات – محاور روحية صريحة، ولم يصمد على المكابرة إلا حفنة من المكابرين وصفهم برجسون الفيلسوف بأنهم من « أشباه العلماء» .

ذلك يبشر بغروب عصر كئيب هو عصر التعبد لصنم جديد قديم أسمه «المادة الصلبة» والإيمان بقدرتها الخالقة المزعومة للحياة، كيما يشرق عصر الاعتراف بالروح وبقدرتها الخالقة الحقيقية بوصفها أصلا للحياة مع الأعتراف بالله مصدر كل قدرة وطاقة وروح ونور.

وهكذا صدق على كشوف الروحية الحديثة ما لاحظه سير الفرد راسل والاس عالم البيولوجيا في شأنها من أنه في كل مرة وُصِفَ أي كشف جديد بأنه غير معقول ثبتت فيما بعد صحته، فأصبح غير المعقول مع الوقت معقولا ومقبولا ...

لقد أصبح العلم الروحي الحديث بفضل صفوة من رجال العلم والعقيدة

(١) EOUNDATION FOR RESE ARCH ON THE NATVRE OF MAN .

العصريين من ذوي الأذهان المتفحة مؤسسا على أسس علمية ودينية في نفس الوقت وأختفت الهُوة – أو كادت – بين العلم والعقيدة في شأن حقائق الروح وبين كافة الأديان والأجناس من جانب آخر ولم يعد لهذه الهوة من وجود حقيقي إلا في أذهان نفر من البعيدين عن جوهر العلم والعقيدة معا في حين أنه يفتح آفاقاً للبحث جديدة في التاريخ وفي اللغات القديمة وفي الفلسفة وفي الكشوف العلمية.... إلخ، وذلك فيما لا يخالف فيه عقائد الأديان السماوية وما يقرره القرآن العظيم أخر كتب هذه الأديان، بالإضافة إلى ما يثبته ويقدمه من توسيع وتعديل وتصحيح وإضافة إلى العلوم المادية البحتة الفيزيائية في حقائقها العامة النظرية وغيرها، من جديد يضاف إلى مفاهيمها ورؤاها والتي تحتاج دائماً إلى المعلومات الدينية وما يتوافق معها من المعلومات الميتافيزيقية والروحية في الأديان.

في كتاب « أشباح في المخ» (Phantoms in The Brain) يبين الدكتور راما شاندران (أستاذ ورئيس مركز أبحاث بيولوجيا المخ والأعصاب بجامعة كاليفورنيا) أن الإيمان بأمور ما وراء الطبيعة ينتشر في جميع الحضارات القديمة والحديثة ويجب أن نبحث عن أصوله البيولوجية في (المخ) وللدراسة ذلك تأسس علم جديد بأسم (neuro – Theology) وعلم بأسم (Geno – Theology) لدراسة الأسس الجينية للروحانيات ويجمع الأثنين علم (Bio – Theology) الذي يدرس الأسس البيولوجية للروحانيات. وقد توصل العلم عن طريق عالمان هما الدكتور أندرو نبوبيرج والكتور يوجين اكويلي إلى (Andrew Newberg) – (Eogene D'Aquili)[١].

إن المشاعر الروحية تصحبها تغييرات حقيقية[٢] (أمكن ملاحظتها وتسجيلها وتصويرها) في نشاط الجهاز الحوفي (Limbic System) المسئول عن الأنفعالات وكذلك في القشرة المخية في المنطقة المسئولة عن الإستيعاب والإدراك

(١) الأول أستاذ الأشعة التشخصية ومدير مركز أبحاث المخ والدراسات الروحية بجامعة بنسلفانيا الأمريكية والثاني أستاذ الأمراض النفسية بنفس الجامعة .

(٢) كما يقول الدكتور عمرو شريف في كتابه «ثم صار لمخ عقلاً» الناشر مكتبة الشروق الدولية.

(Orientation Association Area) وهـي تقـع عنـد التقـاء فصـوص المـخ: الجداري والصدغي والخلفي). وفي المقابـل يـؤدي تنشـيط هـذه المراكـز مـن الخارج إلى الإحساس بمشاعر روحية فياضة. ومعنى ذلـك أن المشـاعر الروحيـة ليست مجرد أوهام أو تخيلات بل أن لها مراكزها العصبية في المخ .. أي أن المخ البشري وكذلك جيناتنا قد تم أعدادها وتسويتها للتعامـل مـع المنظومـة الدينيـة الإلهية والتي مصدرها (الـروح) التـي وهبهـا الله للإنسـان بعـد خلقـه وتسـويته (النفخة) ثم تعديله سر قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار:٦-٨].

إن العلم يلجأ إلى (أفضل التفسيرات) التي. عادة مـا تتمشـى مـع أيديولوجيـة الإنسان ومعتقداته السابقة ونعلم أن العلـم المعاصـر صـار يتبنـى الأيديولوجيـة المادية وأن كان من العلماء من يذهب إلى القول بـأن العلـم سـيقبل في المسـتقبل الكثير مـن المفـاهيم غيـر الماديـة التـي تبشـر بثـورة الـوعي (The Concious Revolution) التي ستنزع القداسة عـن موجـودات الكـون كمـا نزعتهـا ديانـات التوحيد الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام وكما ظهر بوضوح في القرآن العظيم الذي تحدث عن أستنكار النبي إبراهيم أن تكـون الأجـرام السـماوية ألهـة وكمـا حدَّث النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم عند مـوت إبنـه إبـراهيم وصـادف خسوف القمر الذي ظن الناس أنه خسف لموت إبراهيم فقال لهم النبي الخـاتم: « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسـفان لمـوت أحـد أو لحياتـه»[1].

ونزع القداسة عن الكون في الديانات السماوية هو نفسه إضفاء القداسة على خالق الكون، الله رب العالمين الذي خلق كل شئ بقدروقدَّره تقـديرا بإحسـان وحُسـن بادي في الكون وفي كل ما خلق. إن الوجود ذو تناسق في قوانينه وذو أنضباط دقيق في حركته ويأخذ طابع الوحدة في هذه القوانين والحركـات وفي جـوهره الطـاقي،

(١) والحديث رواه أئمة الحديث البخاري ومسلم عن أبن عباس .

وكلها دلالات على وجود (الواجد)[1] يتصف بالقدرة والحكمة والقوة والعظمة أحد ليس له شريك أيا كان لامن مادة ولا من طبيعة ولا من روح ولا من قوى ولا من طاقة (طبيعية أو غير طبيعية) ولا من أبعاد مكان أو زمان أو أي شئ موجود (حقيقي أو مفترض أو متخيل) ألخ وذلك لسبب منطقي وعقلاني بسيط – كما يخبرنا القرآن العظيم – هو أنه لو تعددت الآلهة الموجودة، أيا كانت ، لفسد نظام الكون المحُكم الذي يسير على هدية وهداه الوجود كله في قوانينه الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول – كما يخبرنا القرآن العظيم – وهي تعبير عن إرادة (الواجد) ومشيئته .. وإلا لتحول الأمر في الكون عندئذ لينتهي إلى فوضى وتضارب وتناقض في القوانين ولاختل النظام والتوافق والتناسق والضبط الدقيق فيه ليحل محل الغائبة والقصد الباديان ومحل سريان القوانين والأسباب والمسببات (فيزيائية أو غير فيزيائية) يحل محل ذلك ما يُعرف «بالعشوائية» في الكون وكائناته وفي الأرض وكائناتها بما يتعارض ويخالف ماهو معلوم ومنظور ومشاهد حاليا في الكون من «حكمة» و «ضبط» و «توجيه» و «إبداع» و «حُسن» و«إنتظام» و «دقة» و «تناسق» و «توافق» و«هدي» في الوظائف والتخصصات ... إلى غير ذلك من دلالات وجود (الواجد) مُبدع وبديع في الصنع مُتقن في الفعل بالإتقان فيه .. خارق الذكاء في العمل يفوق ذكاؤه أي شئ (وأي كائن ذكي (واحد أو مجموع) أو أي أحد غيره أيا كان وأين كان وكيف كان ، وحتى لو كان من عباقرة العلماء أو أفذاذ الفلاسفة أي حتى ولو كان من أمثال أينشتاين أو هوكنج.

(١) الواجد اسم من اسماء الله الحسنى وله طاقة أي قدرة كسائر الأسماء الحسنى.

الخاتمـــــة

من هو ستيفن هوكنج

في ختام كتابي هذا أتساءل من هو ستيفن هوكنج البشر الإنسان؟ إذا كان الإنسان (ماكان) كما يقول ماكس أوتو[1] وغيره فإن ستيفن هوكنج (كان) نطفة من مني يمنى من أبيه وضعها في رحم أمه عبر غريزة الجنس وشهوتها التي عاشر بها زوجته (أم ستيفن هوكنج) جنسياً .. وكما يقول القرآن العظيم عن الإنسان ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة : ٣٧] وعن تطور هذه النطقة التي كإنها ستيفن هوكنج يقول القرآن العظيم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون : ١٣ -١٤] وعن الجنين في أطوار الخلق كما كان ستيفن هوكنج يقول القرآن العظيم ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر : ٦] هكذا (كان) وضع عالمنا الكبير ستيفن هوكنج حتى خرج إلى الحياة الدنيا مولودا من بطن أمه لا يعلم شيئا وهو ما يقول فيه القرآن العظيم لكل إنسان ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل : ٧٨] والأفئدة هي العقول وهي عن طريق الحواس من مثل السمع والبصر هي السبيل لأكتساب العلم والمعرفة والحصول أو تلقي المعلومات في مراحل السن المختلفة طوال عمر الإنسان وحتى يبلغ عمرا يفقد

(١) في كتابه « العلم والحياة الأخلاقية» (Science And The Moral Life).

فيه المخ من وظائفه فتقل من معلوماته والقلب من معارفه ليقل علم الإنسان وتقل قدراته العقلية فلا يعلم بعد علمه شيئاً وقد كان من قبل عالماً... وفي ذلك يقول القرآن العظيم ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل : ٧٠] مع زيادة العُمر تقل القدرات الجسمانية كما يقول القرآن العظيم ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس : ٦٨] إن ستيفن هوكنج البشر الإنسان يخضع كغيره من البشر من بني آدم. للتطور الموجه من الله سبحانه وتعالى (Directed Evolution – Theistic Evolution) وهو الذي يقول عنه القرآن العظيم ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح : ١٣ -١٤] كذا من عناصر الطين (الماء والتراب) أو من الماء المهين (النطفة من المني) .. وستيفن هوكنج إنسان قبل أن يكون عالماً عبقرياً وإنسان بعد أن صار عالماً عبقريا .. إنه الوحدة الواحدة المتوحدة في الجسد والروح وفي الجسد والعقل وفي الجسد والنفس، إنه الذات (الأنا) والموضوع (الجسم والمخ والقلب – Core والعقل) وهو يكتسب العلم والمعرفة بحريته في المستويات المختلفة للوعي والإدراك عن طريق العقل أو القلب أو الفؤاد أو اللب أو النُّهي في الإدراك بالحواس وفي الإدراك الزائد على الحواس (E.S.P.) (Extra SensOry Perception) إننا كلنا نعلم كما يعلم أستاذنا الكبير الدكتور ستيفن هوكنج أن ما صار إليه هو في البداية ليس إلا نتاج ما وجد نفسه عليه في طبيعته وصورة خلقته التي وُجد عليها كإنسان في ذاته وموضوعه فيما يظهر من مكوناته في هيكله وفيما يبطن منها وأساسها ('لعقل) وما يتصل فيه بالمخ أو القلب والروح ووسائط مثل الطاقة الكهربائية والكيميائية والخلايا العصبية وشبكاتها المتواصلة ووظائفها المعلوماتية والحواس والبصيرة والإدراك الزائد على الحواس (E.S.P.) وكلها تولد قدرات وطاقات من مثل الذاكرة والحفظ والبيان واللغة والنطق والتعلم والتصور والتخيل والإستنتاج والأستقراء والقراءة والكتابة.. وغير ذلك مما يتميز به الإنسان وينفرد به من قدرات وخواص وطاقات.. ولم يكن لستيفن هوكنج

دخل في وجودها فيما صار إليه أو ما يتميز به أو يتفرد به ، شفاه الله وعافاه وهيأ له دائماً من يساعده ومن يحبه ويرعاه وبيَّن له الحق وإليه يهديه فيما تقرره الإديان السماوية اليهودية والمسيحية)، وفيما يقرره خاتم هذه الأديان (الأسلام) وخاتم الكتب السماوية (القرآن العظيم) فالحق لا يعرف بالرجال وإنما الرجال يعرفون بالحق. ووفقًا للأديان السماوية الثلاثة فقد جاء رسل الله كلهم بالحق كما يقول القرآن العظيم ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾[الأعراف:٤٣]، ووفقًا لخاتم رسل الله ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[يونس:٨٢].

وإذا كان الدكتور ستيفن هوكنج هو ذلك الذي ذكرنا (عما كان) فإنه (عما هو كائن) حاليا لا يخرج بعلمه ومعارفه في الفيزياء النظرية والتطبيقية وميكانيكا الكم والرياضيات والفلسفة وغيرها من علومه ومعلوماته، لا يخرج عما نراه في الأفق الأدني في دنيانا ونعتبره ويعتبره هوكنج نفسه في مستواه العلمي (الحقيقة) أو (الحقيقة المطلقة) والذي نتحدث عنه بعد الفقرة التالية مباشرة .

أما ما سيكون عليه ستيفن هوكنج فأقول عنه أنه (الموت) الذي سيلاقيه كما يلاقيه كل إنسان عالما كان أو غير عالم كما نشاهد في الحياة الدنيا التي نحياها باليقين والتيقن الذي يقول عنه القرآن العظيم كحق وحقيقة ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة : ٨] إن الموت ينطبق على العالم العبقري ستيفن هوكنج كما ينطبق على غيره من العلماء وكما أنطبق من قبل على أينشتاين وقبله على نيوتن وكوبرنيكس وجاليليو وأبن الهيثم والخوارزمي وأبن رشد وأبن سينا وكثيرون غيرهم ... أما ما بعد الموت مما لا نرى أو نشاهد سواء في حياة البرزخ أو الحياة الأخرة ومما تقول به الإديان السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) ، فلا بد أن يكون أيضاً حقاً وحقيقة باليقين والتيقن نفسه الذي يعنيه الموت ويلاقيه كل إنسان عالماً كان أو غير عالم مؤمنا كان أو غير مؤمن وسيظل لكبار العلماء في

الوقت والزمان متَّسع كما كان بالنسبة للسير أنتوني فلو (Sir Anthony Flu) للإيمان بالله. وأني أسأل ستيفن هوكنج هل تستطيع بعلومك الفيزيائية التي تتميز بها حالياً أو مستقبلاً وتتباهى بها منكراً لوجود الله، هل تستطيع أن تتجنب الموت وتكون خالداً؟! على عكس ما يقوله القرآن العظيم.

فما هي الحقيقة فيما نراه في الأفق الأدنى :

إن ما نراه بحواسنا في العالم الطبيعي في دنيانا ونحسبه حقائقاً ليس هو الحقيقة، وذلك ما يطلعنا عليه « أينشتاين» من أسرار النسبية، نحن لا نرى الدنيا على حقيقتها فالألوان التي نراها مثلاً ليست ألواناً وإنما هي موجات لا تختلف في شئ إلا في طولها .. ذبذبات متفاوتة في ترددها .. ولكن أعيننا لا تستطيع أن ترى هذه الأمواج كأمواج .. ولا تستطيع أن تحس بهذه الذبذبات كذبذبات .. وكل ما يحدث أن الخلايا العصبية في قاع العين تتأثر بكل نوع من هذه الذبذبات بطريقة مختلفة ومراكز البصر في المخ تترجم هذا التأثر العصبي على شكل ألوان ولكن هذه المؤثرات الضوئية ليست ألواناً وإنما هي محض موجات واهتزازات، ولكي نميزها عن بعضها نطلق عليها هذه التعريفات التي هي عبارة عن تصورات ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ [النجم : ٢٣] أي أن السماء ليست زرقاء، والحقول ليست خضراء، والرمال ليست صفراء ، والورود ليست حمراء .. ألخ، وكل الألوان المبهجة التي نشاهدها في الأشياء لا وجود لها أصلاً في الأشياء، إنما هي إصطلاحات جهازنا العصبي وشفرته التي يترجم بها أطوال الموجات الضوئية المختلفة التي تنعكس عليه.

إنها جميعاً أحكام نسبية تلك التي نطلقها على الأشياء (نسبة إلى حواسنا المحدودة) وليست أحكاماً حقيقية مطلقة . العالم الذي نراه ليس هو العالم الحقيقي، وإنما هو عالم اصطلاحي بحيث نعيش فيه متعلقين بالرموز التي يختلقها

عقلنا ليدلنا على الأشياء التي لا يعرف لها ما هية أو كنه[1].

وهذه الأشياء المخلوقة الموجودة تمثل فعل الإله الأحد الخالق بمشيئته وقوته ومتانته وقدرته أي طاقته في حقيقة من « النور» التي تكون عليه وتعبر عنه الموجات في أطوالها المختلفة والأهتزازات والذبذبات المتفاوتة في ترددها، والتموجات أو الأمواج في الأطوال الضوئية المختلفة، فالنور هو الحقيقة في هذا الوجود الكوني، السموات والأرض منه، كما يقول القرآن الكريم في سورة النور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ والإنسان، وهو الخليفة في الأرض وقطب الرحي فيها وفي هذه الدنيا، لديه (مَثَل) هذا

النور فيما يمثله المخ أي القلب، وقدراته العقلية الفائقة، والعلمية والقلبية الفاقهة والوعي والإدراك بالحواس وبما هو فوق الحواس (E.S.P.) إن تجلى، أي ظهور الأسم الأعظم، الله، في مقام الحق في الكون يكون في حقيقة (غيب البطون) التي هي في نفس الوقت (سر الظهور)، الأولى لا سبيل إلى إدراكها أو معرفة حقيقتها أو ما هيتها لأن العلم لا يدرك الماهيات أو المطلقات ولا يدرك إلا كميات ومظاهر تأثيرات وتصرفات ... والثانية هي سر تجلي الأسماء الحسنى والصفات الألهية بالنسبة للإنسان، أو غيره، من خلال وعيه وإدراكه وعقله ومخه أي قلبه الذين يستمدون من سر النفحة الربانية الروحية وطاقاتها، في رؤية يؤهله إليها عقله وفي حدود جهازه العصبي ومخه كما يرى ويظهر له في المظاهر والشئون. وبذلك يكون مصدر المعلومات عند المخلوق (الإنسان) هو الخالق (الإله). من خلال (النور) الاسم الإلهي الحسن وطاقاته.

هذا وأن «فيرنير هيزنبرج ونيلز بوهر»[1]. يقولان لنا أن الحقيقة المطلقة لا

(١) أنظر في تفصيل ذلك) (أينشتاين والنسبية) للدكتور مصطفي محمود الناشر دار الأخبار (الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبة) للأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبي رحمة الله أستاذ الفيزياء الأسبق بجامعة عين شمس .

سبيل إلى إدراكها. فالعلم لا يستطيع أن يعرف حقيقة أي شيء، أنه يعرف كيف يتصرف ذلك الشيء في ظروف معينة ويستطيع أن يكشف علاقاته مع غيره من الأشياء ويحسبها لكنه - أي العلم - لا يستطيع أن يعرف ما هو الشيء فلا سبيل أمام العلم لإدراك المطلق، فالعلم يدرك كميات ولكنه لا يدرك ماهيات كما هية الضوء على سبيل المثال. وستيفن هوكنج يعلم أن الحقيقة الأولى في ميكانيكا الكم تقول بأنه لا توجد حقيقة بالمعنى العميق للكلمة - (THERE IS NO DEEP REALITY) وأن الحقيقة الكمية الخامسة تقول بأن العالم يخضع لنوع من التفسير المنطقي معاير للتفسير البشري لـه -THE WORLD OBEYS A NON) HUMAN KIND OF REASONING) وعلى الرغم من غيبيات هذه الفرضيات إلا أننا نستعمل لفظ «حقائق» للدلاله عليها[٢].

ومن هنا فإن المظاهر والشئون في دنيانا بأعتبارها «مرائي» للأسماء الحسنى، والصفات العُلى، فإنها تكون كذلك بالنسة للإنسان من خلال وعيه وإدراكه وعقله في رؤية يؤهله لها وفي حدوده، جهازه العصبي ومخه كما يظهر له هذه المظاهر في والشئون. وهي بما أنها في هذه الحدود لا تعكس أو تمثل «الحقيقة المطلقة أو المجردة» فإن الأسماء الإلهية الحسنى بدورها يستحيل على الإنسان وبكل قواه وقدراته وإمكاناته، أن يدرك حقيقتها أي ذاتها وماهيتها وكنهها فتظل «غيباً» من الغيوب التي تستعصى على إدراك ووعي الإنسان وذلك في أتصالها بالأسم الجامع لها وهو (الله) الدال على الذات المجهول الذي ليس كمثله شئ في كل شئ ويكون (الله) الأسم العلم الدال على الذات الإلهية - كما يخبرنا القرآن في سورة الإخلاص - أحد، صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، إن الأسماء والصفات في تعلقها بالمظاهر والشئون في الإطار الذي ذكرناه وفي الكيفية والطبيعة التي تكون عليها، تعتبر نسبية بالنسبة للإنسان في أسرارها من الظهور

(١) Vemer Heisenberg, Niels Bohr.

(٢) الدكتور المهندس محمد الحسيني إسماعيل، في كتابه «الحقيقة المطلقة»

ولكنها في ماهيتها وحقيقتها المتعلقة بالاسم الأعظم الجامع للأسماء الحسنى (الله) تكون مطلقة أي مجهولة الكنة والماهية في بطونها في الغيب أي غيبها، (غيب البطون) وفي كلتا الحالتين يكون للأسماء الحسنى والصفات العُلى «طاقة» أي «قدرة» تعبر بها عن فعاليتها ومؤثراتها وهي ساكنة في باطن الخلق والأشياء أو طليقة في مظاهر الخلق والأشياء، والله سبحانه وتعالى هو الظاهر والباطن، وكما ذكرنا من قبل فإن هناك من الأسماء والصفات ما أستأثر الله به في علم الغيب عنده، فلا نعلمها ولكنها تظهر أو تتجلى في العالم الخارج عن نطاق قدرات أمخاخنا وجهازنا العصبي وعقولنا فيما تتعلق به من رموز يختلقها عقلنا ليدلنا على الأشياء التي لا نعرف لها ماهية أو كُنه والتي لا تمثل الحقيقة الفعلية الموجودة والتي تعتبر مرائي لتجليات أسماء وصفات علَّمها الله أحداً من خلقه أو أستأثر بها في علم الغيب عنده فلا نعلم عنها شيئاً « كما حدَّثنا النبي الخاتم محمد صلوات الله عليه وسلامه. وسيظل الناس منهم مؤمن وملحد والقرآن العظيم يقول لنا ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥].

أن مخنا وجهازنا العصبي المركزي يعطينا صورة تتسم بالجمال والجلال والكمال عاكساً بذلك الصورة التي يريد ربنا سبحانه وتعالى أن ندركها ونعلمها ونشاهدها من خلال تجليات (الظهور الإيجابي الفعال والمؤثر) أسمائه الحسنى وصفاته العُلى الجمالية والجلالية والكمالية، ولذلك يقول لنا القرآن العظيم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وذلك لأن تركيب مخنا وما يتيحه لنا أن نحصل عليه من علوم إيمانيةً أو ما نتحقق به من مشاعر روحية ومشاهد إحساسية، هو القدر الذي يمكننا معهه أن نحيط به من العلم والمعلومات التي يعلمها الله وتمثل (شئ من علمه) للسببين:-

الأول: أننا لا يمكننا أن نحيط علماً بكل شئ في هذا الوجود الكوني خاصة

فيما لا نرصده منه.

الثاني: الله وحده والذي لا يحيط أحد به علما (وليست الصدفة أو الحظ أو العشوائية) هو الذي وكما تقول الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام، وهو الذي يتصف بالعلم الشامل المحيط بكل شئ في الكليات والجزئيات والدقائق والتفاصيل الظاهرة والباطنة في هذا الوجود الكوني وكائناته كلها لأنه سبحانه وتعالى كما يقول لنا القرآن العظيم (بكل شئ عليم) و (فوق كل ذي علم عليم)، وعلمه سبحانه محيط بما يعلمه ويعمله كل إنسان وما يجهر به أو يسره ودوافعه ونياته فيه ولو كان من العلماء العباقرة الأفذاذ..

وكما قلت من قبل فإن علوم الفيزياء النظرية والتطبيقية وفيزياء أو ميكانيكا الكم التي تخصص وتعمق فيها ستيفن هوكنج وكانت محور كتابه «موجز تاريخ الزمن» وغيره لا يمكنها (وحدها) أن تجيب على الأسئلة التي ذكرناها سالفا والتي لن نجد إجابة لها الأ في الدين كل الدين رغم أن القرآن العظيم يجهل كثير من العلماء وكثير من الناس حقائقه العلمية وما بها من إعجاز .كما وأن علوم الروحية الحديثة التي لم يتناولها هوكنج في كتابه الملئ بالعلوم الفيزيائية تعتبر أحد موضوعات العلوم الحديثة. والعلوم الدينية القرآنية يجب أن تلقى من العلماء اهتماماً أكبر وأن تحظى بدراسات أوسع وأشمل ليصل بها العلماء – وبتنسيق مع العلوم الأخرى الفيزيائية والبيولوجية والكونية والإنسانية وغيرها – إلى آفاق أوسع مما لا يزال غير معلوم من الحقائق التي لا يمكن الوصول إليها بالعلوم المادية وحدها بما فيها الفيزياء وقوانينها الكلاسيكية والكمية التي تخصص فيها هوكنج وكان غارقاً في بحورها في كتابه. لقد أقبل عدد من أبرز علماء الفيزياء والسيكولوجيا والبيولوجيا والفلك والرياضيات: على البحوث الروحية وأخذ الاهتمام بها بتزايد شيئاً فشيئاً في مختلف بلاد العالم[1].

(١) راجع كتاب «الإنسان روح لا جسد» للأستاذ الدكتور رؤوف عبيد.

إن العلم المادي يقدم لنا «أفضل التفسيرات» للأشياء كما أن مفهوم اللا حتمية في فيزياء الكم يخبرنا «أن قوانين الطبيعة التي يعبر عنها رياضياً لا تصف الجسيمات تحت الذرية على حقيقتها وإنما هي تعبر عن «نظرتنا» لتلك الجسيمات» أي أن المراقب أو الراصد له دور في تحديد ماهية المادة وتصرفاتها فنظرتنا إلى الوجود مثلا لا تعبر عن الحقيقة المطلقة للوجود ومن هنا فلا بد للعلم وللعلماء أن يتخلصوا من معتقداتهم الدوجماتية (Dogmatic) التي تخالف الحقيقة إذا أرادوا أن ينجزوا آفاقاً أوسع من العلم تشمل مجالات أوسع وأكثر مما يتناولونه حالياً عن المادة فقط .. من مثل العلوم الروحية التي تتوافق في حقائقها مع الدين. وكما يقول روبرت شيلدريك (Robert Scheldrake)(١).

إن في الكون ما هو أكثر من المادة.. وهناك في البيولوجيا ما هو أكثر من الدنا والانتخاب الطبيعي. وهناك في الوعي الإنساني ما هو أكثر من كهرباء وكيمياء.. «ومن هنا فإن أمثال هؤلاء العلماء عندما يواجهون موقفا علمياً ليست له تفسير إلا التدخل الإلهي فإنهم يبادرون إلى رفضه أو تشويهه أو تعميته ويقبلون تفسيرات طبيعية مادية لا يمكن أن يقبلها العقل المنصف ولا الفكر العلمي .. وكان مثلا أينشتاين يقول:« لا أتصور العلم دون إيمان عميق ويمكن تشبيه الموقف بصورة مجسدة : العلم دون الدين أعرج (Lame) والدين دون العلم أعمي (Blind)(٢). كما كان يقول « يُشعرنا العلم بشعور ديني خاص يختلف عن« الشعور الديني الساذج عند كثير من الناس بل إنني لا أتصور عالماً حقيقيا لا يؤمن بذلك».

إن المعرفة بالروحية الحديثة أخذت تكتسح تدريجياً كل العقبات المصطنعة

---

(١) عالم فسيولوجيا النبات والمشرف على أبحاث بيولوجيا الخلية بكمبردج والذي بدأ في الثمانينات أهتمامه بالباراسيكولوجي ومن أشهر كتبه كتاب (Science Delusion) وهو المرجع لما ذكرناه عنه.

(٢) عن كتاب (Einsteim And Religion) تأليف (Max Jammer) .

التي حاول البعض أن يضعها في طريقها عن إطلاع ناقص أو عن تسرع في الحكم على الأمور أو عن غير ذلك من عوامل الخطأ والعثار في الرأي حتى لقد أصبحت المكابرة في حقائق الروحية الحديثة ليست أكثر من حماس للجهل ومن دعوة مرفوضة من أساسها للأنطواء والتخلف تم رفض أمثالها من قبل أيا كان مصدر الدعوة وحجة الداعي.

والبحث الحديث في الروح هو في واقع الأمر مزيج من علم وتجريب ونظر وفلسفة في وقت واحد وفي بوتقة واحدة .

لقد أصبح التأثير الروحي بطاقته غير المعروفة الكنة وتأثير الكائنات الروحية والنورية اللامادية، وكذلك تأثير العقل وسطوته (وهو أثر ومظهر لنفخة روح الرب في آدم العاقل ثم كل بنيه) .

على المادة في الطبيعة من الثوابت التي لا يستطيع العلماء إنكارها كما أنه لا يوجد في الأديان السماوية الثلاثة ما ينكرها أو يخالفها.

إن الرباط قوي وتكاملي بين مشاهد الروح ومكاشفاتها التجديدية وبين مشاهد العقل واكتشافاته الحية التجريبية والرياضية، وكلاهما يفسر الحقائق الكونية من منظوره الخاص به ويأتي بالجديد فيها وبذلك تتبين لنا حقائق من أسرار وخفايا العلوم الروحية في قالب من الفهم العقلي والتفسير العلمي لها لأنهما يعكسان (الحق) في الكون في وحدته.

إن العلوم كلها متداخلة ويكمل بعضها البعض ومن الجهل والخطأ والتضليل معاداة أي علم من العلوم (المادية واللامادية) نتيجة الجهل به أو عدم قبول ما يتوصل إليه من نتائج ومعارف يقينية أو نتيجة الأسلوب الذي يتناول به المعلوم أو نتيجة التحيز المسبق للعلماء وعدم الحيدة أو نتيجة الكفر والإلحاد.. أو الظن والتخيل والوهم وعدم التيقن وأن العلوم ليست فقط العلوم المادية أو الطبيعية التجريبية وإنما تشمل أيضًا العلوم الإنسانية كالفلسفة والأخلاق والاجتماع

والقانون والآداب وغيرها . من مثل الخلايا الأصل stem cell research، والاستنساخ cloning، وتسلسل الجينوم البشري human genome sequencing، والذكاء الاصطناعي artificial intelligence، وتحوير المادة manipulation of matter، والطب الجزيئي molecular medicine، وعلم الكونيات cosmology، والإلكترونيات الدقيقة microelectronics، والتكنولوجيا الحيوية والمعلومات والاتصالات information and communications، وغير ذلك ... كلها تتضافر وتساعدنا على الوصول إلى (الحق) وإلى (الحقيقة) التي تمثلها رسالات الله وتمثلها أصول كتبه كلها وخاصة التوراة والإنجيل حتى خاتمها (القرآن العظيم) . ومجموعة العلوم الإنسانية لا يتوجه لها المنهج العلمي التجريبي الذي يتوجه فقط إلى العلوم الطبيعية التجريبية بما فيها الفيزياء أم هذه العلوم وغير ذلك. فكل العلوم ضرورية وتتضافر في الطريق المؤدي إلى (الحق) وإلى (الحقيقة) والعلم كله مختزن في العالم كله المشهود والغائب كما هو في علم (الله) الذي وسع كل شيء علمًا رغم أن العلماء تتجاذبهم توجهات متباينة ومتقلبة بين الإيمان والكفر كما تجاذبت ستيفن هوكنج وقبله ألبرت أينشتاين من كبار العلماء وغيرهم.

ملاحظـــات

في نهاية كتابي سأجمع ما يحضرني حالياً وأقدم للقراء ملاحظات موضوعية ومحايدة لكتاب « موجز تاريخ الزمن» ومؤلفه عالم الفيزياء النظرية والكم والرياضيات الكبير ستيفن هوكنج وغيره من كتبه، وذلك من خلال عدد من الأمور أذكر منها ما يلي :

١ – المؤلف وهو متخصص في الفيزياء النظرية وميكانيكا الكم والرياضيات فكتابه يزخر بحصيلة من المعلومات في هذه الموضوعات أراه ليس فقط عرّضها وإنما أراه أيضًا أستعرض بها ومعها إمكاناته ومعتقداته في علمه بها في استعلاء واضح، ولكن بمنطق سليم دائماً وأن كان غير صحيح بالضرورة في استنتاجاته.

٢ – لا يمكننا حالياً الحكم على نظرية المؤلف في ميكانيكا الكم وبالتالي لا يمكننا الأعتماد عليها أو الأخذ بنتائجها وإستنتاجاتها لأنها لا تعطينا إلا الأحتمالات للافتراضات التي تفترضها . ولأن فيها العديد من الأمور غير الحقيقية أو الواقعية في أفكارها التي تنبني - كما يقول هو نفسه – على بعض التخيلات ولأفتراضات والتصورات الوهمية من مثل الزمان التخيلي والأعداد التخيلية والتواريخ المتعددة للكون وليس التاريخ الواحد، والتوسع غير المنضبط أو المُحدَّد في مبدأ (عدم التيقن) (Uncertenty Principle) .

٣– ومن تجاوزات النظرية أيضاً تناولها لمواضيع لا تستند إلى اليقين العلمي أو الثابت من قوانين العلم وإنما قال بها نظرياً أفراد علماء غير مؤمنين بصحيح الأديان ولا بصحيح مفاهيمها في المجالات الكونية والطبيعية والإنسانية وقد جاء خاتم الكتب السماوية بالحقائق الكلية في تلك الموضوعات إجمالا أحيانا

وتفصيلا أحيانا أخرى وبعموميات أحيانا وخصوصيات أحيانا أخرى فيما تناولـه في آياته أو بما تركه لأجتهاد الإنسان والعلماء بالعقل والبصر والبصيرة ليصلوا إلى الحق فيه بالإيمن والمعرفة والعلم دون تعصب ودون إنكار للحق.

٤ – يعتبر المؤلف أن ميكانيكا الكم في مضمونها الحقيقي لديها رؤية مختلفـة عن الحقيقة (Reality) ولذلك قالت بتعـدد التـواريخ لا بالتـاريخ الواحـد للشـئ (object) وتعتبر طبيعة الزمان مثال لمنطقة تكون فيها نظرياتنـا الفيزيائيـة مُحـددة لمفهومنا عن الحقيقة . وجدير بالذكر أن أينشتاين سبق وتنـاول مفهـوم الحقيقـة فيما نراه في وجودنا الطبيعـي لكـن كتـاب « مـوجز تـاريخ الـزمن» لم يشـرإليها أو يتناولها منسوبة إلى إينشتاين وكمـا يقـول هـوكنج نفسـه فـإن التـواريخ المتعـددة موجودة في الخيال العلمـي (Science Fiction) وإن كانـت ليسـت مـن الخيـال العلمي فهي تصنع أشكال (Shapes) للكون الذي نعـيش فيـه وتفتـرض وحـدد أكوان أخرى موازية لكوننا وقد تكـون خماسـية الأبعـاد فمـا يصـفه (aquantum Superposition).

٥ – العلم (Science) لا يفسـر لنـا لمـاذا كـان الكـون كمـا كـان عليـه فـور الإنفجار العظيم كما أنه وإن كان أمكنه أن يتنبأ بأن الكون لابد أن تكون لـه بدايـة إلا أنه لم يمكنه أن يتنبأ (كيف) (ينبعـي) إن يكـون في البدايـة ولا كيـف يمكـن أن تكون البداية نفسها . وكما كان يقـول هـوكنج فيمـا مضـى فسنضـطر في هـذا إلى اللجوء إلى (الله)، ثم عاد بعد أن تبنى الإلحاد يقول إنه رغم أعتقاده في المفـردات (Singularities) إلا أن لدية قناعة بأن قـوانين الفيزيـاء لازالـت يمكنهـا الـتكهن بكيف بدأ الكون .

٦ – تعتبر نظرية ميكانيكا الكم نظرية عما لا تعرفه وعما مـا لا يمكننـا توقعـه وهو ما يصفها به هوكنج نفسه .

٧ – يحاول مؤلـف الكتـاب إيجـاد ثغـرات في أعمـال الفيزيـائي والرياضـي

العبقري ألبرت أينشتاين لأنه كان معارضاً لميكانيكا الكم فيما تقوله من العشوائية والصدقة واللاحتمية وكان يرى أن هناك قوانين دقيقة للغاية لم ندركها بعد تحكم سلوك الجسيمات تحت الذرية. ولذلك فإن هناك فارق واضح في (الإيمان بالله) بين إينشتاين وهوكنج نتيجة ما توصلا إليه من معلومات في فيزياء ورياضيات الكون ومادته وقواه وطاقاته (النسبية العامة وميكانيكا الكم) وبيناها في كتابنا وهي على كل حال معلومات منقوصة لأنها لا تقبل التفسيرات الدينية الصحيحة ولا تلجأ إليها حتى ولو كانت عقلانية وعلمية وغير غيبية.

٨ – يتضح جليا من الكتاب عدم معرفة مؤلفه أو إلمامه الكافي بالقرآن العظيم وآياته وتفسيراتها في مجال الكونيات والطبيعيات والإنسانيات من الناحية العلمية وعدم إتقانه أو إلمامه الكافي باللغة العربية لغة القرآن العظيم والتي يمكن للمؤلف من خلال إتقانه أو أجادته لها أن يفهم معاني آيات هذا الكتاب المتضمن للوحي الإلهي وكلمة الله الآخرة وفيما تناولته عن الكون والكائنات فيه وهو أمر أعلم أنه لا يؤمن به.

٩ – كما تتضح عدم رغبته في تناول أفكار الميتافيزيقا والمعلومات الدينية الصحيحة أو اللجوء إليها لتفسيرات للأمور والمسائل التي تناولتها الفيزياء (بأنواعها المختلفة) والتي تناولها المؤلف في كتابه وبيناها نحن في كتابنا وحيث تكون التفسيرات الدينية هي الأسهل والأكثر منطقية وعقلانية وعلمية والأكثر احتمالا وواقعية. وقد غاب عن ستيفن هوكنج أن القرآن العظيم قد نقل القضية الدينية من حيز الوهم والأسطورة والخرافة والمعتقدات الوثنية إلى حيز القضية العلمية الكلية القابلة للبرهان والمبنية على الإيمان العاقل المقترن بالعمل الصالح المفيد.

١٠ – توسع مؤلف الكتاب في تطبيقات مبدأ (عدم التيقن) لهيزينبرج وفحواه ومجالاته ونتائجه في التنبؤ والمبدأ لا ينطبق على كثير من الأمور وعلى كثير من

الحالات على خلاف ما يظنه هوكنج ومايقوله عن التنبؤ الذي تحدثت الأديان السماوية وتحدث عنه القرآن العظيم بتوسع وبأمثلة ونماذج لا أظن أن ستيفن هوكنج يعرفها وهي حالات من التوقع والتنبؤ والتيقن بدقة وصحة ولا ينطبق عليها مبدأ عدم التيقن الذي كان هوكنج يمجده وتوسع في تطبيقاته لتشمل كل شئ عنده وقد ذكرنا أمثلة لها.

١١ - الكتاب لم يتناول (الزمان الروحي) وتوصيفه الذي ذكرناه في كتابنا كما أنه لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى علم الروحية الحديثة أو الباراسيكولوجي (Parapsycology) ولا إلى كبار علماء الماديات والنفس المؤمنين بهذا العلم وما توصلوا إليه في تجاربهم وأستنتاجاتهم من معارف تختلف عن المعارف الفيزيائية وقوانينها ويمكنها أن توجد لنا أنسب التفسيرات المقنعة عن حقائق الكونيات والطبيعيات والإنسانيات التي تعجز الفيزياء النظرية وميكانيكا أو فيزياء الكم عن إيجاد التفسيرات المناسبة لها والمقنعة والصحيحة (وبرغم غرق العلم الحديث في الغيبيات، كما في الجاذبية والإلكترون والكوارك والموجة اللاسلكية والذرة والنيوترون كلها لم نرى منها شيئاً ولكن نؤمن بوجودها فهي غيب بالنسبة لحواسنا، ولم يخبر العلم عن ماهيتها).

١٢ - يؤمن عالمنا المؤلف بمسائل لازالت تفتقر إلى الإثباتات العلمية اليقينية القاطعة على صحتها مثل الأنتخاب الطبيعي والعشوائية والطفرات العشوائية والصدفة .. وغير ذلك وربما كانت تعوزه الإثباتات العلمية للغائية والقصد والتصميم والذكاء البادي والضبط في البنية الكونية .. في يقينها الذي لا يعتريه شك أو ريب .. وأقول ربما ..

١٣ - إن نظرية توحيد القوى (Unified Theory) التي تفسر كل شئ Theory of EveryThing) التي يسعى إلى بلوغها هوكنج لن تثبت ما يظنه في معلوماته الناقصة عن الإله ووجوده وخلقه للكون ولكنها - ونحن نؤمن بها ونتطلع إليها -

لن تثبت إلا وحدة النسيج الكوني (الخلية الحية – الذرة) وبالتالي وحدة الألوهية والربوبية في أوصفاها الحقيقية والتي ذكرتها الأديان السماوية أي الإله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. كما يصفه القرآن العظيم.

١٤ – لم يتناول مؤلف الكتاب مفهوم (الطاقة) وهي (القدرة) التي يتصف بها الإله وتتجلى بها (الأسماء الإلهية الحسنى) و(الصفات الإلهية العُلى) التي ذكرتها الأديان السماوية كلها ويمكن معها وبها تفسير الإنفجار العظيم في البداية للكون وتفسير وجود الطاقة الإلهية الدائم والمستمر والمتداخل في كل شيء في هذا الكون وكائناته في الإنشاء والتنظيم والتشغيل والمتابعة والحفظ والاستمرارية والدوام والإبقاء ... إلخ . وكما قلت فإن الطاقة التي أقصدها هي الطاقة بمعنى القدرة التي يتصف بها الله (القدير) و(القادر) على كل شيء وهي مصدر ومنبع ومجمع والأصل المحرك والفاعل والمؤثر الإيجابي لكل أشكال أو صور الطاقة في الطبيعة الكونية التي تحكمها قوانين الفيزياء والكم بما فيها من ارتياب ولا حتمية ونعرف الكثير منها[1]، وهي مظهر لظهور القدرة (الطاقة) الإلهية .وهي طاقة غير محدودة وغير محددة ولا نهائية وغير مقيدة بقيود أو أبعاد ولا يعجزه فيها أو يعوقه أي شيء في أي وقت وزمان ومكان لأنها مطلقة متعلقة بمشيئته وأمره ومتغلغلة ومتداخلة في الكون بدلالات قدرته في أسماء وصفات جماله وجلاله وكماله ابتداءًا من الذرة وجزيئاتها والخلايا ومكوناتها ووظائفها وحتى النجوم والكواكب في مجراتها وبما في ذلك الإنسان الذي سواه خالقه وهو المعجزة الإلهية الفريدة المتميز بالعقل وقدراته النابعة من نفخة الروح الربانية وبالطاقات النفسية والروحية ويصفه القرآن العظيم بقوله ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ

(١) أفردنا لتجلي الله وأسمائه الحسنى وطاقتها كتاباً مستقلا يمكن الرجوع إليه لمعرفة الصلة بين الله وبين الطاقة أي القدرة أشرنا إليه قبل ذلك .

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]. وقد خصصنا لموضوع الطاقة الإلهية كتابًا آخر مستقلاً بعنوان (رسالة في التوحيد) لأنه بغير الطاقة الإلهية ما كان يمكن أن يحدث أي شيء في الوجود في مظهريه المادي والطاقي وبغير الطاقة الإلهية أيضًا ما كنا سنكون نحن هنا لنقول ما نقول ، علماء أو غير علماء وبما فينا ستيفن هوكنج .

١٥ – يقول هوكنج أن مبادئ فيزياء الكم تصف الطبيعة وصفا دقيقاً هو الحقيقة في الطبيعة ولكننا نعلم أنه لا توجد حتى الآن نظرية كم كاملة للجاذبية.

وإننا لا ينبغي لنا أن نسلم تسليماً مطلقاً بصحة تخيلات وأفتراضات وتصورات ميكانيكا الكم دون أن تثبت فعلا في الواقع صحتها العلمية وعن طريق العقل والتجريب والرياضيات وإلا كان أعتقانا هكذا الأعمي دوجماتيكي[1] (Dogmatic) وأنا لا أعتبر الفهم الديني خاصة القرآني مُعَوِّقا للعلم لأنه ليس فهما لتفسير غيبي للموضوعات العلمية وإنما هو فهم لتفسير موضوعي وعقلي (عقلاني) وعلمي بما يشتمل عليه من معارف طبيعية أو كونية أو إنسانية وذلك لأن العلوم ليست فقط العلوم الطبيعية التجريبية (التي تدخل فيها الكيمياء والبيولوجيا اللذان يرجعان إلى الفيزياء) التي تعتمد على الحواس في رصد النتائج وتكون بالتالي عرضة للتضليل وخاصة بالنسبة لإدراك« حقيقة الوجود» المحيط بنا . وإنما تشمل أيضًا العلوم الإنسانية التي لا يتوجه إليها المنهج العلمي التجريبي.

١٦ – أن مفهوم اللا حتمية (UNCERTAINTY) في فيزياء أو ميكانيكا الكم يعني أن قوانين الطبيعة التي نعبر عنها رياضياً لا تصف الجسيمات تحت الذرية على حقيقتها وإنما هي تعبر عن «نظرتنا» لتلك الجسيمات وبما يعنيه ذلك من وجود دور للراصد في ذلك وبما لا يعبر دائماً عن (كنه) أو (ماهية) الحقيقة

(٢) الدوجماتي هو المتعصب لمعتقد دون برهان .

المجردة للأشياء وإنما بوصف ظواهرها فقط وبالاحتمالات. ويذهب كثيرون إلى أن الفيزياء الحديثة وفيزياء الكم أصبحت مبنية الآن على الحقيقة التي خلقها فكر الإنسان وليس على الحقيقة المجردة في ذاتها وهو ما أنتهى إليه مؤتمر العلماء الذي عقد في كوبنهاجن عام ١٩٢٧. هذا وأن وصف الطبيعة الكامل للعالم الذري إنما يكون على أساس (إحتمالات) ليست مبنية على مرئيات حقيقية في عالم الزمان والمكان وإنما على التجربة الحسية للأشياء الميكروسكوبية.. وكما يقول الدكتور/ حسن عباس زكي في كتابه «الإنسان والوجود» (في ميكانيكا الكم فإن جسيمات الذرة هي «ميول للتواجد أو احتمالات للحدث» حيث أن جسيم الذرة هو كم أو كمية من شئ معين أما ما هو هذا الشئ فأمر محل تأمل ومضاربة وهناك على المستوى الذري تبادل مستمر بين الكتلة والطاقة فكل منهما يتحول إلى الآخر) أنتهى...

١٧- أن فرضية الأكوان المتعددة تعتبر عند كثير من علماء فيزياء الكوانتم من الخيال العلمي وليست من الفيزياء إذ من المستحيل التأكد علمياً من وجودها وهي تمثل أقصى درجات اللامنطقية وتطرح افتراضاً إحتمالياً لا يمكن تمحيصه، ومن أشهر هؤلاء العلماء (JOHN POLKINGHORNE) والفيلسوف (RICHARD SWINBURN) وعالم الفلك (EDWARD HARRISON). وأرنو بنزياس وجون ليسلي وغيرهم. وأنا أضيف أن هذا ما يقوله العلماء أما القرآن العظيم فينسب القدرة على إيجاد أكوان متعددة مثل كوننا، ينسبها إلى الله سبحانه وتعالى القدير والقادر وحده على ذلك فيقول ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس : ٨١-٨٣]، فالقرآن لا ينسب القدرة على إيجاد أكوان متعددة لا إلى الصدفة ولا إلى العشوائية ولا إلى الحظ ولا إلى اللاإرادة ولا إلى اللاغاية ولا إلى القوانين الطبيعية

التي يقول الملحدون أنها نشأت تلقائياً.

ومما ينبغي معرفته أن معظم كبار العلماء من مؤسس فيزياء الكم والحاصلين جميعاً على جوائز نوبل هم من المؤمنين بالله، وعلى رأسهم ماكس بلانك وهيزنبرج وشرودنجر وبول دبراك.. وأن الصراع الحقيقي لا يكمن – وكما اتضح من كتابنا – بين العلم والدين وإنما أن وجد – فإنه يكون بين علماء في الدين والعلوم نتيجة تصور عند الأثنين في فهم كل من العلم والدين حيث أن رأي بعض العلماء ليست بالضرورة هي رأي صحيح العلم كما أن رأي بعض علماء الدين ليس هو بالضرورة رأي صحيح الدين. والعلم وأن كان غالبا ما يتبنى النظرة الطبيعية فإن ذلك غالباً ما يرجع إلى وجود فكر ديني مليء بالخرافات والتصورات والأساطير غير العقلانية والمفاهيم غير العلمية وكنها ينأى عنها الفكر الديني القرآني أي الكتاب (القرآن العظيم) الذي ينبني على العلم والمعارف في عالمي الشهادة والغيب، وكما بيناه في كتابنا باختصار والذي ينبغي علينا جميعاً معرفته، سواء منا المؤمنين بالقرآن أو غير المؤمنين، أن هذا الكتاب ليس كتابا للنظريات العلمية ولا سجلا جامعاً للعلوم كافة أو محدثا عن تفصيلات ومجالات وموضوعات وفروع وتخصصات وأنواع علوم بعينها لأنه كتاب الدين (دعوة وحجة) الذي ترك هذه الأمور لنشاط وعمل الإنسان العقلي (البصري والبصيري) حتى يجتهد الإنسان باستمرار في طلب العلم والاستزادة منه والتعلم ليكتسب معلومات جديدة ويتوصل إلى اكتشافات جديدة ومعارف جديدة في اطار مبدأ «عالمية العلم» و«حياده» لأن العلم لا يعرف الكلمة النهائية وليس له نهاية مهما بلغ الإنسان العالم من علو ورفعة وتميز وعبقرية في المستوى العلمي والمعرفي، ربما جعلته متعالياً ومتكبراً أو متحيزاً وغير محايد.

وفي كتاب «موجز تاريخ الزمن» يقول ستيفن هوكنج: «إذا أكتشفنا النظرية الجامعة لقوى الفيزياء سنكون قد حققنا انتصاراً كبيراً للعقل البشري وعندها سنكون قد فهمنا عقل الإله». ولكن في كتابه «التصميم العظيم» أعلن هوكنج أنه:

«لم يعد هناك مجال للقول بوجود الإله» كما أعلن أن قوانين وثوابت الفيزياء التي نفهمها قادرة على إيجاد وتشكيل الكون ومن ثم لا حاجة للقول بوجود الإله «ويقول في نفس الكتاب »لأن هناك قانون كقانون الجاذبية فقد خلق الكون نفسه من عدم« ورغم أن ما يقوله يعني أن شيئا لم يوجد بعد قادر على إيجاد ذاته فإنه يعتبر من الأقوال اللا منطقية واللا عقلية واللا علمية.

إن ستيفن هوكنج ومن هم أمثاله من الذين يبحثون ويتعمقون في العلوم المادية وحدها لا يختبرون إلا جزءاً واحداً من العالم الموجود وهو المنظور والمرصود لنا الذي يتصل بالماديات وقواها وطاقاتها، ولكنهم لا يختبرون الجزء الثاني من العالم الموجود غير المنظور وغير المرصود لنا وهو الذي يتصل بالروحانيات وقواها وطاقاتها النورانية أي قدراتها في (عالم النور الطاقي) رغم أنهم ربما أو غالباً ما لايؤمنون بهذا العالم النوراني وكائناته بسبب النقص الكبير في معلوماتهم عن هذا العالم الذي يجهلونه ويجهلون حقائقه وواقعه وقوانينه، ومن هنا يرفضونه ويبتعدون عن الخوض فيه وفي حقائقه بحجج واهية في حقيقتها وغير مقنعة وغير عقلية أو عقلانية أو حتى علمية لا تستند إلا إلى (عدم الإيمان) أي إلى (الكفر والإلحاد) وإلى (انكار الأولوهية والربوبية) وحسب الظن والهوى وعدم التيقن والتخير وعدم الحيدة.

لقد تمكن العالم الروسي «سيمون كيرليان» وزوجته في عام ١٩٣٩م من اختراع جهاز للتصوير باستخدام مجال كهربي عال التردد (٧٥.٠٠٠ – ٢٠٠.٠٠٠ ذبذبة ثانية) مكنهما من تصوير الجسم الأثيري (الروحي) للإنسان وهو ينفصل عن الجسم المادي في لحظة الموت.

أن نور الروح يستمد من نشاطات وفعاليات وإيجابيات طاقة الاسم الإلهي الحسن (النور) ولها قدر محدود من خصائصه لأن القرآن يقول (ونفخت فيه من روحي) ولا يقول ونفخت فيه روحي .

وأنه بدون الطاقة والقوى لا يمكن أن يحدث أي شئ في الكون ولا يستطيع أي شئ أن يتحرك أو يعيش. ولقد حاول الكثيرون على مر العصور تصميم آلات تعمل باستمرار دون مصدر للطاقة، لكن محاولاتهم كلها باءت بالفشل لأن ذلك يستحيل تحقيقه حيث لا بد لأي آلة من مصدر طاقة دائم، ومن المعلوم لنا أن طاقة الدخل في أي آلة هي دائماً أكبر من طاقة خرجها. وكذلك آلة (المخ) تحتاج دائماً إلى طاقة دخل أي مصدر طاقة دائم – هو الروح – الذي يتصل بآلة المخ عن طريق أهم الوسائط الطاقية وهي الكهرباء (الكهرومغناطيسية) وهي الشجرة المبركة الزيتونة اللا شرقية واللا غربية التي أشارت إليها الآية ٣٥ من سورة النور في القرآن العظيم في المثل الإنساني (المخ والعقل) لنور الله نور السماوات والأرض أي الكون..

أن الحقيقة التي يدركها الإنسان (العلماء) بعقله في حدوده الفيزيقية والحسية حتى في أعلى مراتب التجريد الرياضي قد لا تكون بالضرورة هي ذات الحقيقة التي يدركها الإنسان (العلماء) بشفافيته الروحية البصيرية في مستوى ادراكه الزائد على الحواس (E.S.P) كما أنها قد لا تكون بالضرورة هي الحقيقة التي تدركها الكائنات الروحية النورية الصرفة كالملائكة والروح (روح القدس) لأن الواقع الطبيعي والقوانين التي تعمل في العالم الروحي النوري (الطاقي) تختلف عن القوانين التي تعمل في العالم الطبيعي المادي الفيزيقي، ولذلك تختلف الرؤى في العالمين وتختلف الحقائق فيهما مع اختلاف المنظور بين المادي والروحي (النوري/ الطاقي).

أن المظهر الوجودي للعالم الروحي (عالم الأمر) تحكمه إتصالات الفكر، وحركته متصلة بالفكر وتكون مشاهد الواقع والحقيقة فيه في أبعاد تختلف عن أبعاد عالمنا الحسي المعروفة للعلماء، كما تختلف عما نعتقده الحقيقة في الوجود الطبيعي حسب تصورات أمخاخنا وأجهزتنا العصبية.

لقد وصف القرآن العظيم روح القدس، الروح الأمين جبريل بأنه (شديد القوى) بما قد يعنيه ذلك من قوة تماثل – على الاقل – (القوى الشديدة) التي تُكوّنواحد من أربع قوى في الكون تمكن العلماء من اكتشاف وجودها في الطبيعة وهي:-

(١) الجاذبية.

(٢) الكهرومغناطيسية.

(٣) القوى النووية الضعيفة.

(٤) القوى النووية الشديدة

إن ذلك يدعونا إلى القول بإن هناك قوى من العالم الروحي لا نشعر بها أو ندركها تمتد إلى القوى والطاقات الموجودة في العالم الطبيعي ومادياته تستطيع أن تؤثر عليها أو تعدل فيها أو تغير من تأثيراتها المعهودة المعروفة وتتحكم فيها. كما وأن العوالم الروحية النورية الصرفة لا تحتاج إلى قوى أو طاقة أو قدرة فيزيقية مادية لأداء نشاطها وإجراء تأثيراتها (الملائكة والروح) لأن قدراتها (طاقاتها) والواعية تستمد من نور يمثل صورة غير معروفة للعلماء حتى الآن من صور الطاقة التي أوجدها الخالق سبحانه وتعالى وتدخل فيما يقوله القرآن العظيم في معنى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء :٨٥]. فهو نور يرجع إلى الله واسمائه الحسنى لأنه سبحانه وتعالى كما يخبرنا القرآن العظيم في الآية ٣٥ من سورة النور﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي أنه سبحانه وتعالى مصدر وأصل والسبب الأول لكل الطاقات في العالمين المادي (الطبيعي) واللامادي (الروحي) كما كان الأمر مع انفجار البداية الذي يرجح حدوثه العلماء، وإننا بمعادلة بسيطة يمكن أن ننتهي إلى أن :

النور = اسم حسن

النور = طاقة

إذن الاسم الحسن = طاقة

وهي طاقة أي قدرة لله سبحانه وتعالى الذي له الأسماء الحسنى لا تخضع ولا تحكمها قوانين الفيزياء والكم المعروفة حالياً وهو لا يتبع أيا من علومنا المادية فهو خارج مجال العلم كله. في سورة الزمر يقول القرآن العظيم ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ وفي سورة الحج يقول ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾.

وأنني أعلم أن منهج «العلمية» (Scientism) الذي يرجع مفهومه إلى القرن الـ١٧ في أوروبا يعتبر أي حديث عن الإله أو الدين أو التجارب الروحية أنه يقع خارج نطاق العلم ولذلك يُعتَبره المنهج أنه ليس حقيقياً وهذا ما يقوله العلماء الذين لا يؤمنون بالله ووجوده الواجب.. في حين أن (الله) خارج وجودنا المادي ومن ثم لا يتبع أيا من علومنا المادية بما يعنيه ذلك من أن البحث في ذات الله وعلمه وعمله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى يقع خارج مجال العلم كله والذي يفتقر العلماء فيه إلى الحياد وعدم التحيز.

وقد كان أينشتاين يقول: «إن كل إنسان مهتم بالعلم بصورة جادة يدرك أن قوانين الطبيعة تعكس وجود روح كلي أسمى كثيرًا من روح الإنسان» (Spirit Vastly Superiorto That of Man)

وبعد

إنني أستطيع أن أجزم بيقين إن ستيفن هوكنج لا يعلم ما يكفي من معلومات وحقائق عن (التوحيد) في العقيدة الدينية القرآنية أو ما جاء في هذه العقيدة عن فقه شهادة التوحيد وحقائقه في مستوياته ودرجاته المختلفة ووسعته وشموله أو عن

توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية أو ما يليق في حق (الله) وما لا يليق أو ما يجوز وما لا يجوز أو ما يمكن وما يستحيل أو ما يتجلى (يظهر) به الله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى وطاقاتها أو ما (يبطن) به[1].

كما يتضح أيضاً أنه وقد نفض عن عقله ما كانت الكنيسة ورجال اللاهوت في الماضي البعيد يحتكرونه من مفاهيم توارتية وإنجيلية عن الكون والطبيعة والإنسان حاربوا بها العلم والعلماء في الزمن الماضي كما هو معروف فإنه صار يركز كلية على العلوم المادية وحدها (الفيزيائية والكمية والرياضية أساساً) ويرى أن فيها الكفاية لمعرفة كل شئ ممكن عن الكون وبدايته وسيره وعما إذا كان يحتاج إلى (إله) في منشئه وتدبيره ودوافعه وهل له بداية ونهاية أم أنه أزلي أبدي..؟ وغير ذلك.. ولكنه كان يعتقد في السابق ويقول في الماضي: (إذا كنا نعلم بعض ما حدث منذ الانفجار الأعظم «وتزداد معرفتنا مع تقدم العلم» فإننا لا نستطيع تحديد ما كان قبل ذلك.

كما إن ظروف ما قبل الانفجار الأعظم لا يجب أن تشكل أي جزء من تصورنا العلمي للكون. علينا أن نكتفي بأن نقول إن الانفجار الأعظم هو بداية الزمن، ويعني ذلك أن الأسئلة التي تدور حول كيف تهيأت الظروف لهذا الانفجار الأعظم ليست بالأسئلة التي يتناولها العلم». إنتهى[2].

ومن المعلوم أن ما يجري في معامل أبحاث سيرن (Cern) من محاولات لمحاكاة (البداية) ليس مطابقًا للحقيقة لأنها تقع في إطار الزمان والمكان ووجود طاقة الفراغ بينما في البداية لم يكن هناك زمان أو مكان أو مادة أو طاقة أو قوى.

(١) وهو سبحانه الظاهر والباطن

(١) في حوار نشر في كتابه «BLACK HOLES & BABY UNIVERSES» الصادر عام ١٩٩٣ والحوار كان عام ١٩٩٢ يوم الكريسماس بين (SUE LAWLEY) من الـBBC وستيفن هوكنج.

وكان الدكتور هوكنج يتساءل عن بداية تمدد الكون والقوة المسؤولة عنه[1] كيف تمدد الكون بهذه السرعة الهائلة في بدايته حتى يصبح على هذا التجانس؟ كيف حافظ هذا التمدد على القيمة الحرجة التي تحقق استقرار الكون لفترة طويلة، وتحقق نشأة الحياة على كوكب الأرض ويجيب ستيفن هوكنج عن هذه التساؤلات قائلا: لا شك أنها إرادة الإله الذي شاء أن يخلق كائنات مثلنا[2].

(٢) أثبت العلم أن هناك ثلاث حقائق مهمة لسيناريو الخلق هي التمدد والتريد والتطور.

(٣) المرجع السابق.

حقائق غائبة عن ستيفن هوكنج

وأوضح هنا في عجالة وباختصار وإيجاز شديدين بالقدر الذي يحتمله كتابي ولا يبتعد عن موضوعه أو يطيل فيه ، أوضح حقائق عن الألوهية والتوحيد والتنزيه من القرآن العظيم غائبة عن الدكتور ستيفن هوكنج[1] الذي كان يحاول معرفة (عقل الله)! .

الحقيقة الأولى (الله) :

الله جل جلاله وتقدست ذاته وصفاته وأسماؤه ، واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له ، صمد لا ضد له ، متوحد لا ند له . وأنه قديم لا أول له ، أزلي لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدي لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له . قائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال موصوفًا بنعوت الجلال لا يقضي عليه بالانقضاء والانفصال يتصرم الآماد وانقراض الآجال ، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، وأنه تعالى ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ، وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام ، وأنه تعالى ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ، ولا يعرض ولا تحله الأعراض ، بل لا يماثل موجودًا ، ولا يماثله موجود ، وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء ، وأنه تعالى لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه السموات ، وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والتحول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته

(١) خصصنا في هذا الموضع وحقائقه كتابًا لنا آخر يمكن الرجوع إليه لمن يريد بعنوان «رسالة في التوحيد» نشر مكتبة جزيرة الورد .

محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات على العرش كما أنه رفيع الدرجات على الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام وأنه تعالى لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان وأنه تعالى بائن بصفاته من خلقه ليس في ذاته سواء ولا في سواء شيء من ذاته، وأنه تعالى مقدس عن التغيير والانتقال لا تحله الحوادث. ولا تعتريه العوارض. بل لا يزال في نعوت جلاله منزهًا عن الزوال. وأنه تعالى في ذاته معلوم الوجود بالعقول، مرئي بالأبصار نعمة منه ولطفًا بالأبرار في دار القرار، وإتمام للنعيم بالنظر إلى الوجه الكريم.

هذا ما يمكن أن يسطر على صفحات الأوراق مما يقرب للعقول فهمه، وتطمئن به القلوب، وترتاح له النفوس، وما وراء ذلك من شهود عين اليقين ومكاشفات حق اليقين لا تفي به عبارات أهل التعبير، ولا إشارات أولياء الله المقربين، لأنه من غوامض أسرار عجائب القدرة وغرائب الحكمة، وغيب كمالات الذات الأحدية، وجمالات صفاتها العلية، وجلال أسمائها المقدسة الصمدية.

الحقيقة الثانية (أسماء الله الحسنى وصفته العُلا):

تنقسم إلى أسماء جمال وأسماء جلال وأسماء كمال[1] ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨]، والأسماء التي وردت في القرآن.

---

(١) عشرة أسماء ذاتية كمالية منها (الله) و(النور) وتسعة عشر جلالية منها (القهار) و(الجبار) و(المنتقم) وسبعون جمالية منها (الرحيم) و(الحليم) و(الكريم).

الله – الرحمن – الرحيم – الملك – القدوس – السلام – المؤمن – المهيمن – العزيز – الجبار – المتكبر – الخالق – البارئ – المصور – الغفار – القهار – الوهاب – الرزاق – الفتاح – العليم – القابض – الباسط – الخافض – الرافع – المعز – المذل – السميع – البصير – الحكم – العدل – اللطيف – الخبير – الحليم – العظيم – الغفور – الشكور – العلي – الكبير – الحفيظ – المقيت – الحسيب – الجليل – الكريم – الرقيب – المجيب – الواسع – الحكيم – الودود – المجيد – الباعث – الشهيد – الحق – الوكيل – القوي – المتين – الولي – الحميد – المحصي – المبدئ – المعيد – المحيي – المميت – الحي – القيوم – الواجد – الماجد – الواحد – الصمد – القادر – المقتدر – المقدم – المؤخر – الأول – الآخر – الظاهر – الباطن – الوالي – المتعالي – البر – التواب – المنتقم – العفو الرؤوف – مالك الملك – ذو الجلالة والإكرام – المقسط – الجامع – الغني – المغني – المانع – الضار – النافع – النور – الهادئ – البديع – الباقي – الوارث الرشيد – الصبور .

وهذه الأسماء وعددها تسعة وتسعون ليست هي كل الأسماء التي سمى الله بها نفسه أو أنزلها الله في كتابه ، أو جاءت في أحاديث نبيه ، أو علمها الله أحدًا من خلقه أو استأثر بها في علم الغيب عنده.

الحقيقة الثالثة (التوحيد) :

التوحيد هو اعتقاد القلب أن الله تعالى واحد ، لا من عدد ، وأول لا ثاني له ، موجود لا شك فيه ، وحاضر لا يغيب ، وعالم لا يجهل ، قادر لا يعجز ، حتى لا يموت ، قيوم لا يغفل ، حليم لا يسفه ، سميع بصير ، ملك لا يزول ملكه ، قديم بغير وقت ، آخر بغير حد ، كائن لم يزل ولا تزال الكينونة صفته ، لم يحدثها لنفسه ، دائم أبد الأبد ، لا نهاية لدوامه ، والديمومة وصفه غير محدثها لنفسه ، لا بداية

لكينونته ، ولا أولية لقدمه ، ولا غاية لأبديته ، آخر في أوليته ، أول في آخريته ، وأن أسماءه وصفاته وأنواره غير مخلوقة له ولا منفصلة عنه، وإنه أمام كل شيء ، ووراء كل شيء وفوق كل شيء، وأقرب إلى كل شيء من ذات الشيء ، وأنه مع ذلك ليس محلاً للأشياء وأن الأشياء ليست محلاً له ، وأنه على العرش استوى كيف يشاء بلا تكييف ولا تشبيه ، وأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وبكل شيء محيط، الجو وجه ، والفضاء من ورائه ، والهواء وجه ، والمكان من ورائه ، والحول وجه ، والبعد من ورائه ، وهذه كلها حجب مخلوقات من وراء الأرضين والسموات متصلات بالأجرام اللطاف ومنفصلات عن الأجسام الكثاف – من الكثافة – وهي أماكن لما شاء ، داخله في قوله ﷺ : «ربنا لك الحمد ملء السموات ، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد» ، والله جل جلاله وعظم شأنه هو ذات منفرد بنفسه ، متوحد بأوصافه ، لا يمتزج ، ولا يزدوج إلى شيء ، بائن من جميع خلقه ، لا يحل الأجسام ولا تحله الأعراض ، ليس في ذاته سواه ، ولا في سواه من ذاته شيء ، ليس في الخلق إلا الخلق ، وليس في الذات إلا الخالق .

وأنه تعالى ذو أسماء ، وصفات ، وقدرة ، وكلام ، ومشيئة وأنوار كلها غير مخلوقة ولا محدثة ، بل لم يزل قائمًا موجودًا بجميع أسمائه وصفاته وكلامه ، وأنواره ، وإرادته ، وأنه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، له الخلق ، والأمر ، والسلطان ، يحكم بأمره في خلقه وملكه ما شاء كيف شاء ، لا معقب لحكمه ، ولا مشيئة لعبد دون مشيئته ، إن شاء شيئًا كان ، ولا يكون إلا ما شاء ، لا حول لعبد عن معصية إلا برحمته ، ولا قوة لعبد على طاعته إلا بمحبته ، وهو واحد في جميع ذلك لا شريك له ولا معين في شيء من ذلك ، ولا يلزمه إثبات الوعيد ، بل المشيئة إليه في العفو ، ولا يجري عليه في الأحكام ما أجرى علينا ، ولا يختبر بأفعال ولا يشار بالمقال ، حكيم عادل بحكمة وعدل هما صفتاه ، لا تشبه حكمته بحكمة خلقه ، ولا يقاس عدله بعدل عباده ، ولا يلزمه من الأحكام ما ألزمهم ، ولا يعود عليه من الأسماء المذمومة كما يعود عليهم ، قد جاوز العقول ، وفات

الأفهام، والأوهام، والعقول.

هو كما وصف نفسه، وفوق ما وصفه خلقه، نصفه بما ثبتت به الرواية وصحت عن رسول الله ﷺ، وأنه ليس كمثله شيء في كل شيء بإثبات الأسماء والصفات، ونفي التمثيل والأدوات، وأنه سبحانه وتعالى لم يزل موجودًا بصفاته كلها ولم تزل له، وأن صفاته قائمة به لم تزل كذلك، ولا يزال بلا نهاية، ولا غاية، ولا تكييف، ولا تشبيه، ولا تثنية، بل بتوحيد هو متوحد به، وتفريد هو منفرد به، لا يجري عليه القياس، ولا يمثل بالناس، ولا يُنعت بجنس، ولا يلمس بحس، ولا يتحد بشيء، ولا يزدوج إلى شيء، وأن ما سوى أسمائه، وأنواره، وكلامه من الملك والملكوت، محدث كله، ومظهر حدث بعد أن لم يكن، ولم يكن قديمًا، ولا أول، بل كان بأوقات محدثة، وأزمان مؤقتة.

والله تعالى هو الأزلي الذي لم يزل، الأبدي لم يحل، القيوم بقيومية هي صفته، الدائم بديمومة هي نعته، أول بلا أول، ولا عن أول، آخر لا إلى آخر بكينونة هي حقيقته، أحد صمد لم يلد، وبمعناها لم يولد، ومعنى ذلك لم يتولد هو من شيء ولم يتولد منه شيء، ومثل ذلك لم يخلق من ذاته شيء كما لم يخلق ذاته من شيء. وهو المنزه عن كل وصفٍ يدركه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يختلج به الضمير أو يفضي به تفكير أو يتصوره ويصوره عقل أو يحيط أحدٌ به علمًا.

وأنا ما أردت في كتابي هذا إلا أن أبين العديد من الحقائق التي كانت غائبة عن ستيفن هوكنج في كتابه «موجز تاريخ الزمن» أو ما قرأته له أو نقلته عنه على لسان غيره والتي يمكنه معها – إذا أراد وأهتم – أن يضيفها إلى سجل معلوماته وهو يبتغي الوصول إلى الحق وإلى الحقيقة وفق ما يحسبه حقاً ويراه من خلال الفيزياء وفيزياء الكم والرياضيات وغيرها. وإن ما أوردته في كتابي من آيات القرآن العظيم (وهي كثيرة في الكتاب) المترجمة إلي اللغة الإنجليزية لن تؤدي نفس التأثير ولا رؤية نفس الإعجاز في مبناها ومعناها الذي تؤديه الآيات نفسها في لغتها العربية

كما أن القارئ لن يستشعر تأثيراتها الجمالية والجلالية والكمالية وما تفيده في مبناها ومعناها ومقاصدها وغاياتها ودلالاتها وروحها إلا إذا قرأها بلغتها الأصلية التي تنزل بها القرآن العظيم نفسه وهي اللغة العربية لأن الكتب الإلهية الثلاثة وهي التوراة والإنجيل والقرآن في أصلها كما أوحاها الله إلى رسله المتلقين لها تعتبر في حقيقتها (نور) للهداية إلى الحق و (فرقان) للتفرقة بين الحق والباطل والصالح والفاسد والصحيح والخطأ يهدي إليها الله من يشاء.

وقد جمع القرآن هذه الحقائق في الآيات من (١-٤) من سورة آل عمران فيقول ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾

وأعتقد أن آيات القرآن التي أوردت في لغتها الإنجليزية ستؤدي الغرض المطلوب منها عند القراء وعند هوكنج نفسه إذا نقلت إليه كاملة، الدلاله والمعنى وأن كان عامة العلماء وجمهورهم يقولون أن القرآن العظيم هو المعنى والنظم العربي الذي لا يصح فيه تبديل ولا تغيير ولا تأخير، وأن أي معنى من معاني القرآن يؤدي بغير أسلوبه ونظمه أو بلغة أخرى غير عربية لا يسمى (قرآناً) ولا يثبت له شئ من أحكام القرآن..

إن القرآن العظيم يسع في كماله واكتماله وشموله وإحاطته كل الحقائق الثابتة بالقوانين العلمية اليقينية من وجهة نظر العلماء، ولا يوجد أي تعارض بأي قدر بين مقررات هذا الكتاب المسطور وبين حقائق الكون كتاب الله المنظور، لأن خالق الكون من العدم أي عدم وجود أي شئ غيره أو معه كما حدث النبي الخاتم محمد. ومنزل القرآن في القدم، واحد هو الله سبحانه وتعالى. والقرآن بشموليته يخبرنا عن الكثير من الإعجاز في الخلق الكوني والإنساني والنباتي والحيواني ويرشدنا إلى حقائق هذا الإعجاز فيما يتوافق معه العلم وتتوصل إليه المعرفة في حدود عقولنا المحدودة ومعلوماتنا المتجددة لكل قوى وطاقات

الكون وقوانينه الصادرة عن إرادة الله وأمره في نشاطاتها التي تستمد من قدرته (طاقته) وحكمته في وجوده وحياته وقيوميته وتدبيره الأسمائي والصفاتي الإيجابي الفاعل في هذا الوجود المشهود وفي الوجود الغائب عنا فيما لا تدركه ولا ترصده ولا نعلمه.

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في عصور نهضتهم السالفة التي مهد لها القرآن العظيم ورعاها أضافوا إلى مفهوم العلم النظري – الذي كان اليونانيون يتمسكون به – نهجاً جديداً هو إستخدام العلم من أجل كشف أسرار العالم الطبيعية وتمكين الإنسان من السيطرة عليه واستغلاله لصالحه (المنهج التجريبي)+ (الحقائق الرياضية) وبذلك جمعوا بين النظرية والتطبيق في إطار حضارتهم التي قامت على مفهوم الإسلام الجامع بين الدين والدنيا، ولم تكن فكرة التعارض بين العلم والإيمان أو العلم والدين واردة في أذهانهم.

وقد أخذ الأوربيون من العلماء المسلمين معارفًا وعلومًا وأفكارًا وفنونًا ومخترعات جديدة أثناء احتكاكهم بهم في الأندلس وثقيلية وفي الحروب الصليبية في الشرق وغيرها مهدت للنهضة في أوروبا وفي الإصلاح الديني بها والنهضة . وأنا أعرف أن الدكتور استيفن هوكنج يعلم ذلك جيدًا وإن كان لم يشر إليه لا تصريحًا ولا تلميحًا ولا مختصرًا لا في كتابه (موجز تاريخ الزمن) ولا في غيره.

وكما يقول «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية» : «لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن لم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة بل هناك مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باقورة أشعتها إلى الحياة الأوربية وليس هناك ناحيةٌ واحدة من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا .. إنه يدين لها بوجوده نفسه».

ومنذ تدهور وسقوط الحضارة الإسلامية لأسباب كثيرة ومتداخلة ومتشابكة تدنى مستوى المسلمين حتى صاروا محسوبين في عصرنا في عداد الشعوب المتأخرة والدول النامية التي يضرب فيها التخلف ومظاهره والأنغلاق والجمود فضلاً عن التطرف والإرهاب عند جماعات ومجموعات منهم وينخر في دولها وفي أخلاقيات وسلوكيات شعوبها إبتعادها عن مبادئ وتعاليم هذا الدين وكتابه القرآن العظيم وتوجهاتهما. كما وأن الفضل الأكبر يرجع إلى عرب إسبانيا في تقديم خلاصة الفكر العربي في العلوم والآداب والفلسفة إلى غرب أوروبا فضلاً عن تعريف الأوروبيين بكثير من تراث اليونان القديم.

ومع ذلك فلا يعيب القرآن العظيم أن يكون مستوى حياة ومعيشة المسلمين مستوى متدني بالقياس إلى غيرهم كما أنه لا يعيب القرآن العظيم أن تكون الصلة تكاد تكون منقطعة بين حاضر واقع أهله إذا قارناه بما أنجزه السابقون من العلماء المسلمين من إنجازات كثيرة في المجال العلمي والمعرفي والبحث والابتكار فيهما وأقاموا بذلك في ماضيهم حضارة كانت سباقه على حضارات قامت في وقتهم ولم تزدهر في الغرب إلا مع بداية عصر النهضة في أوروبا.

ويقول المؤرخ جورج سارتون في كتابه «تاريخ العلم» (الكتاب الأول) : «إن المسلمين عباقرة الشرق في القرون الوسطى لهم مآثر عظمى على الإنسانية تتمثل في أنهم تولوا كتابة أعظم المؤلفات والدراسات قيمةً وأكثرها أصالةٌ وعمقًا مستخدمين في ذلك لغتهم العربية التي كانت بلا شك لغة العلم للجنس البشري في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر لدرجة أنه كان يتحتم على الشخص الذي يريد الإلمام بثقافة عصره وبأحدث ما يجري فيه من علوم أن يتعلم اللغة العربية» .

وهي نفس اللغة التي يتم بها التواصل مع القرآن العظيم في كل عصر ووقت وزمان متى توفر عند أهله الإخلاص والصدق والحرية والحيدة وعدم التحيز.

استطراد ختامي

وفي ختام كتابي أحب أن أوضح أنه بصرف النظر عن مواقف الناس من الإيمان بالله وحق قدره ومواقف العلماء منهم في ذلك فهم يجهلون أن الله تعالى لا ينقص من قدره شيئ أن لا يؤمن به وبوجوده مخلوق ولا يزيد من قدره شيئ أن يؤمن به وبوجوده مخلوق ولو كان هؤلاء وأولئك من كبار العلماء لأنه سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة مؤمن ولا تضره معصية كافر أو ملحد فهو ببساطة التوحيد الحق غني عن العالمين في كل شيئ لا يقاس بالمحدثات ولا تقاس إليه المحدثات، ولا يفتقر إلى غيره في وجوده أو في فعله أو في قدرته وطاقته أو في أي شيئ وكل شيئ وهو ليس كمثله شيء في كل شيئ كما يقول القرآن العظيم حتى ولو كان من مسعى الكافرين والملحدين الوصول من خلال العلوم المادية وحدها إلى نتيجة مفادها عدم الإيمان بالله الخالق (كما يحاول ستيفن هوكنج أو غيره) في نفس الوقت الذي لا يسمعون ولا يستمعون إلى القرآن العظيم خاتم الكتب السماوية والمصدق لها في أصولها كما أنزلها الله ويتخذون منه موقفاً كارهاً أو رافضاً ينبني على نقص المعلومات عندهم أو مغلوطها أو معدومها.

رغم أن القرآن العظيم يؤكد أن عطاء الله من العلم للناس أو من غير العلم ممدود ومتاح لكل الناس وليس محظوراً على كل مجتهد سواء أنتهى بإرادته الحرة وعلمه إلى الإيمان أو إلى الكفر فهو يقول ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠]. ان الاسم والمعنى للدين والعلم لهما نفس المدلول في القرآن العظيم وكما في أصول الكتب السماوية التي سبقته (التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.. إلخ). لأن مصدرهم واحد ثابت

وغير متغير ووحيه في كتبه غير متناقض وغير مختلف وغير متعارض.

والقرآن العظيم يوحد ولا يفرق بين القضيتين الدينية والعلمية فالعلم دين والدين علم وما جاء به الله في القرآن هو كما يقول ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف:٥٢] وكما يقول ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١] وكما يقول ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦] فالذي جاء به الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد هو دين وعلم كما ذكر القرآن العظيم في الآية ١٢٠ والآية ١٤٥ من سورة البقرة، وكما أشار إلى القضية الدينية بمفهوم القضية العلمية في سور (مريم الآية ٤٣) و (يوسف الآية ٢٥) و (الأنبيا الآية ٧٤) و(النمل الآية ٣٥) و (القصص الآية ١٤) وغيرها.

والمتحدث في القضيتين (الدينية والعلمية) هو الله (الذي لا يؤمن به ستيفن هوكنج والملحدون) وهو العليم الخبير والحكيم القدير بكمالاته المطلقة، ولذا فإن علمه علم مطلق ذو طبيعة شمولية وكلية ولا عهد للإنسان بها فهو سبحانه ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه :٩٨] و ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢] و﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر:٢٢]، وهو علام الغيوب والأسرار والخفايا والظاهر والباطن والمعلن والمتكتم بكلياته وجزئياته وتفصيلاته ودقائقه في وجوده الأولي والأخرى المحيط بالوجود وبكل موجود وهو سبحانه بكل شيئ عليم وفوق كل ذي علم عليم ولا يحيطون به علماً. وفي هذا الاستطراد الختامي أُذكر الدكتور ستيفن هوكنج بما أغفله في كتابه عن الأستاذ الدكتور أحمد زويل الذي ابتدع علم (الفيمتو كيمياء) الجديد وما له من آثار علمية في زمننا الحال والقادم ومفاهيمنا العلمية الحالية والمستقبلية .

أن المعلومات العلمية القرآنية التي ذكرتها في تناولي لكتاب ستيفن هوكنج «موجز تاريخ الزمن» (A BRIEF HISTORY OF TIME) ليست إلا نقطة من

محيط تزخر به المكتبة القرآنية ولا أحيط به معرفة، إلا إنني أحسب وأظن أنني قد أوضحت وعلى قدري المتواضع فيما ذكرته من «الحقائق الغائبة» عنه في كتابه المذكور وفي غيره من كتبه ما أكون به قد حققت الهدف من كتابي هذا. وهو الانتصار لما أوحاه الله في محتواه الأصلي لرسله كلهم في كتب دياناته كلها ، انتصاراً للحق والحقيقة وانتصارًا للحق والحقيقة فيها بدءًا وختامًا .

نبذة عن المؤلف

* ولد في بني سويف من محافظات مصر عام ١٩٣٨م وعاش في القاهرة.

* حصل على الثانوية العامة الإنجليزية (GCE) من كلية فكيتوريا بالقاهرة (VICTORIA COLLEGE) عام ١٩٥٤م، ثم حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٥٩.

* تلقى محاضرات الدراسات العليا بقسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة والمعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة.

* دورة في المعهد الاستراتيجي بالقاهرة.

* دورة في أكاديمية ناصر للعلوم الاستراتيجية.

* حاضر في المعهد الدبلوماسي عن دولة الفاتيكان وتلقى بالمعهد دورة تحضرية لمنصب السفير.

* التحق بمدرسة الإمام محمد ماضي أبو العزائم الصوفية الجامعة بين الشريعة الإسلامية والحقيقة الروحية وخلالها تأسس بنيانه الديني الإسلامي واتسعت ثقافته الدينية العلمية والصوفية.

* عمل في سفارات مصر في البرازيل والسودان والسعودية وماليزيا وكوريا الديمقراطية الشعبية (الشمالية)، وقنصلاً لمصر في جدة ونيويورك، ثم سفيراً لمصر في ماليزيا وسلطنة بروناي وكوريا الديمقراطية الشعبية.

* اتصل عبر عمله في السلك الدبلوماسي المصري في الخارج بالثقافات المختلفة ومكنته إجادة اللغات الأجنبية خاصة الإنجليزية، كسب خبرات

الاحتكاك بهذه الثقافات في البلاد التي عمل بها أو زارها.

* حاصل على وسام الاستحقاق في مصر في عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات وعلى أكبر وسام من اللجنة المركزية الشعبية للحزب في كوريا الديمقراطية الشعبية.

* شارك في برنامج دولي ثقافي بماليزيا قدم خلاله معارف إسلامية وشعراً عن فلسطين وشعبها.

* جده لوالدته فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد العباس المهدي شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية الأسبق.

* له العديد من المؤلفات الإسلامية ذات نهج يجمع بين الدين والعلوم الحديثة والتوجه الصوفي الروحي.

كتب للمؤلف تم نشرها

	الناشر
١- الإنسان والخلافة في الأرض	دار الشروق
٢- حول المرجعية القرآنية- تحديد المفاهيم	مكتبة الشروق الدولية
٣- حول المرجعة القرآنية – أخلاقيات المال	مكتبة الشروق الدولية
٤- حول المرجعية القرآنية في النفس والأخلاق	مكتبة الشروق الدولية
٥- أصول النهضة الإسلامية	مكتبة الشروق الدولية
٦- الدين والدولة الحديثة	مكتبة الشروق الدولية
٧- الإسراء والمعراج «وعلوم العصر»	دار الكتاب المصري اللبناني
٨- أضواء على الطريق إلى الله	المؤلف
٩- قراءة معاصرة في كتاب الله	المؤلف
١٠- مورد الحكمة وأوراد الحكيم	المؤلف
١١- رسالة في التوحيد	مكتبة جزيرة الورد
١٢- في معية الرسول في القرآن الكريم	مكتبة الشروق الدولية
١٣- الله جل جلاله بين التثليث والتوحيد	المؤلف
١٤- حديث الروح في أسماء الله الحسنى	المؤلف

١٥- الفتوحات الربانية في الصلاة على الذات المحمدية	المؤلف
١٦- مشاهد في جوهر الصلاة	المؤلف
١٧- معارج المؤمنين إلى الإحسان واليقين	دار الكتب الصوفي
١٨- البعد الحضاري في سياسات الإصلاح والنهضة	لم ينشر
١٩- الإنسان ويوم الحساب	مكتبة الشروق الدولية
٢٠- المرجعية الإسلامية للدولة المدنية القانونية- رؤية لمصر ما بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١	مكتبة الشروق الدولية
٢١- البعد الحضاري الإسلامي للدولة المدنية الديمقراطية	مكتبة الشروق الدولية

كتب للمؤلف لم تنشر بعد

٢٢- رؤية في الإسراء

٢٣- مكارم الأخلاق في الإسلام

٢٤- الله يتجلى بأسمائه الحسنى وطاقاتها

٢٥- واقترب الوعد الحق – يوم القيامة

٢٦- زي المرأة المؤمنة ولباس التقوى

٢٧- إبراهيم الخليل عليه السلام

٢٨- تجديد الخطاب الديني في الإسلام

٢٩- المجهول عن ذلك الإنسان

٣٠- منارات هادية في فكر النهضة

٣١- أضواء على الفكر الاقتصادي في الإسلام

٣٢- المحمد صلى الله عليه وسلم (جزءان)

٣٣- الإمام محمد ماضي أبو العزائم- مجدد الدين في زماننا.

٣٤- مع الإمام المجدد أبي العزائم.

٣٥- الله نور السماوات والأرض

٣٦- موسى والعبد العالم

٣٧- يوسف الصديق

٣٨- أخلاقيات المال في الإسلام

٣٩- مشاهد في جوهر الصلاة (الطبعة الثانية)

المحتويـــات